مكتبة النهج الواضح

مختصر
الجواب الصحيح

- تُطبع لأول مرة -

لشيخ الإسلام
أبي العباس أحمد بن عبد الحليم
بن تيمية الحراني
رحمه الله تعالى
٦٦١ - ٧٢٨هـ

اختصره شيخ الإسلام
محمد بن عبدالوهاب التميمي
رحمه الله تعالى
١١١٥ - ١٢٠٦هـ

تحقيق
مِشَارِي بِنْ حُمُود الْحِرْفَه

مكتبة النهج الواضح

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

عنوان مكتبة النهج الواضح

الكويت - حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - السرداب - محل رقم (١) و (٧)

تلفون : ٩٩٤٥٠٨٢١ - ٥٠٨٩٥٠٩٩ - ٢٢٦٥٠٥٤٦

ISBN: 978-99966-1-601-3

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم قد اعتنى عناية عظيمة ببيان التوحيد ومسائله، وقرر ذلك أبين تقرير وأوضحه، فكان من هذا البيان التحذير مما يضاد التوحيد ويناقضه كالشرك بالله تعالى، فأُقيمَتْ بذلك الحجة، وأُبينَتْ به المحجة كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٦٥].

ففي هذا البيان حذرنا سبحانه من السبل المخالفة لدين الحق، فأمرنا باجتناب صراط المغضوب عليهم وهم اليهود، والضالين وهم النصارى، وما ذاك إلا عندما حاد أهل هذه الأديان عن شرع ربهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فكان كتاب الله العزيز مشتملاً على نقد هذه الأديان المحرفة، والتحذير من مسلكهم المعوج، كما حذر القرآن -أيضاً - من أديان أخرى كالصابئة والمجوس والدهريين وغيرها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة الحج: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤].

لذا أسهم أهل العلم في الرد على هؤلاء بمؤلفات كثيرة، وكان من هؤلاء الذين أسهموا في مضمار التأليف في هذا الباب

شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وهو كتاب عظيم النفع، كثير الفوائد وجميل العوائد، وهو من أعظم ما أُلِّفَ في الرد على النصارى ودحض شبهاتهم .

وقد أثنى العلماء على هذا الكتاب ثناءً عظيماً، ومن هؤلاء العلماء تلميذه ابن القيم في النونية حيث قال:

وكذا جواب للنصارى فيه ما ... يشفي الصدور وإنه سفران

وكذلك أبي المعالي محمود شكري بن عبدالله الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢ هـ) حيث قال - في كتابه فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية في المسألة الثالثة والتسعين عند ذكر كتمان الحق مع العلم به -: ((والكلام على هذا الباب مفصل في الجواب الصحيح لشيخ الإسلام، فعليك به، فإنه كتاب لم يؤلف مثله)).

ولأهمية هذا الكتاب وعظيم النفع به مع شهرة مؤلفه ومكانته العلمية، فإن شيخ الإسلام قد أطال النَّفَس فيه،

واستطردَ في كلامه وتوسعَ كعادته رحمه الله، فانبرى شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لاختصار جزء من هذا الكتاب العظيم، فلا يخفى مكانة مؤلف الأصل وقوته العلمية، والأمر نفسه منطبق على الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، خصوصاً مع معرفته بمؤلفات شيخ الإسلام وأسلوبه ومنهجه، مع عنايته وخبرته في مجال التلخيص والاختصار، فله مختصر السيرة، ومختصر زاد المعاد، ومختصر الإيمان الكبير، ومختصر الإيمان الأوسط، ومختصر فتح الباري، إضافة إلى تقريبه للكتاب المختصر واقتناص فوائده وتبسيط معانيه.

ترجمة مختصرة لصاحب الأصل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

هو شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني.

وُلد في يوم الاثنين، عاشر، وقيل: ثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦٦١هـ في حرّان.

وفي سنة ٦٦٧هـ أغار التتار على بلده، فاضطرت عائلته إلى ترك حران، متوجهين إلى دمشق، وبها كان مستقر العائلة، حيث طلب العلم على أيدي علمائها منذ صغره، فنبغ ووصل إلى مصاف العلماء من حيث التأهل للتدريس والفتوى قبل أن يتم العشرين من عمره.

وعُني بالحديث وقرأ ونسخ، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك من العلوم.

وتوفي شيخ الإسلام رحمه الله في ليلة الاثنين عشرين من ذي القعدة من سنة (٧٢٨هـ) بقلعة دمشق التي كان محبوساً فيها.

ومؤلفات الشيخ رحمه الله كثيرة يصعب إحصاؤها فمنها: الاستقامة، وبيان تلبيس الجهمية، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ودرء تعارض العقل والنقل، والصفدية، ومنهاج السنة النبوية.

فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وأسكنه في الفردوس الأعلى.

ترجمة مختصر للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

هو الإمام المجدد أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ. وتلقى العلوم الأولى على يدي والده، وكان يعمل قاضياً لقرية العيينة. ثم ارتحل إلى الحجاز؛ لأداء فريضة الحج، فدرس هناك على أعلام مكة آنذاك، ثم انتقل إلى المدينة فقرأ على فقهائها وخاصة الشيخ " عبدالله بن إبراهيم النجدي " والشيخ " محمد السندي" رحمهما الله، ثم قصد إلى البصرة واجتمع إلى عدد من علمائها المعروفين.

وتوفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في عام ١٢٠٦هـ، وقد خلف مؤلفات عديدة نفع الله بها، منها: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، والأصول الستة، وتفسير الفاتحة، وأصول الإيمان، والمسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية.

فرحم الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأسكنه في الفردوس الأعلى.

منهجي في تحقيق الكتاب يشمل ما يلي:

أولاً: النسخة التي اعتمدتها في تخريج النص وتحقيقه هي النسخة المحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، وهي النسخة الوحيدة - فيما أعلم - التي قُدِّر لي الاطلاع عليها.

ثانياً: نسخ المخطوطة وفق القواعد الإملائية الحديثة المتعارف عليها.

ثالثاً: إعجام ما أهمله الناسخ من الكلمات، مع عدم الإشارة إلى ذلك في الهامش إلا إن اختلف المعنى بذلك الإعجام.

رابعاً: مقابلة (مختصر الجواب الصحيح) على نسخ الأصل (الجواب الصحيح) المحققة المطبوعة، وإثبات الفروق إذا احتيج إليها.

خامساً: إثبات ما يحتاج إضافته من حروف أو كلمات من الأصل في الصلب بين قوسين معقوفين هكذا [ ] مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

سادساً: الضبط بالشكل لما يحتاج إلى ضبط مما يشكل

قراءته، ويلتبس نطقه.

سابعاً: كتابة الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، وجعلها بين قوسين مُزهرين ﴿ ﴾، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

ثامناً: ضبط الأحاديث بالشكل ضبطاً كاملاً؛ حتى يتيسر فهم ألفاظ الحديث.

تاسعاً: تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.

عاشراً: القيام بوضع علامات الترقيم وفصل الجمل عن بعضها بما يبين المراد منها.

الحادي عشر: وضع عناوين حسب المسائل والفروع، وجعلها بين معقوفتين هكذا [...].

وأخيراً: وضع فهرس للموضوعات.

وصف النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق:

للكتاب نسخة خطية واحدة فيما أعلم، وهي نسخة بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض برقم (٦٧٨ / ٨٦)، وهي بقلم الناسخ الحنبلي المعروف عبدالله بن ابراهيم الربيعي رحمه الله، الذي نسخ كثيراً من مكتبة العلامة محمد بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله، وكان ذلك بأمر الشيخ نفسه، وعدد صفحاتها (٤٥) صفحة، وعدد الأسطر في اللوحة (٢٥) سطراً، وفي كل سطر بالمتوسط (١٢) كلمة.

تنبيه: إن هذا المخطوط يتضمن على (١٤٠) لوحة بقلم الناسخ عبدالله بن إبراهيم الربيعي[1] رحمه الله، وفيها كتابان،

---

(١) هو عبد الله بن إبراهيم الربيعي وهو من أبرز من عمل لدى الشيخ محمد عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب من النساخ النجديين، ويعد من كتّاب الشيخ، وتوفي عام ١٣٦٨هـ، وقد نسخ الربيعي عدداً كبيراً من المخطوطات، أحصى له الدكتور راشد القحطاني قرابة (١٧٠) مخطوطة.

ينظر: راشد القحطاني، مجلة الدرعية، السنة الثانية، ع: ٦، ٧، ربيع الآخر - رجب ١٤٢٠هـ ص ١٤٠.

وهما كالآتي:

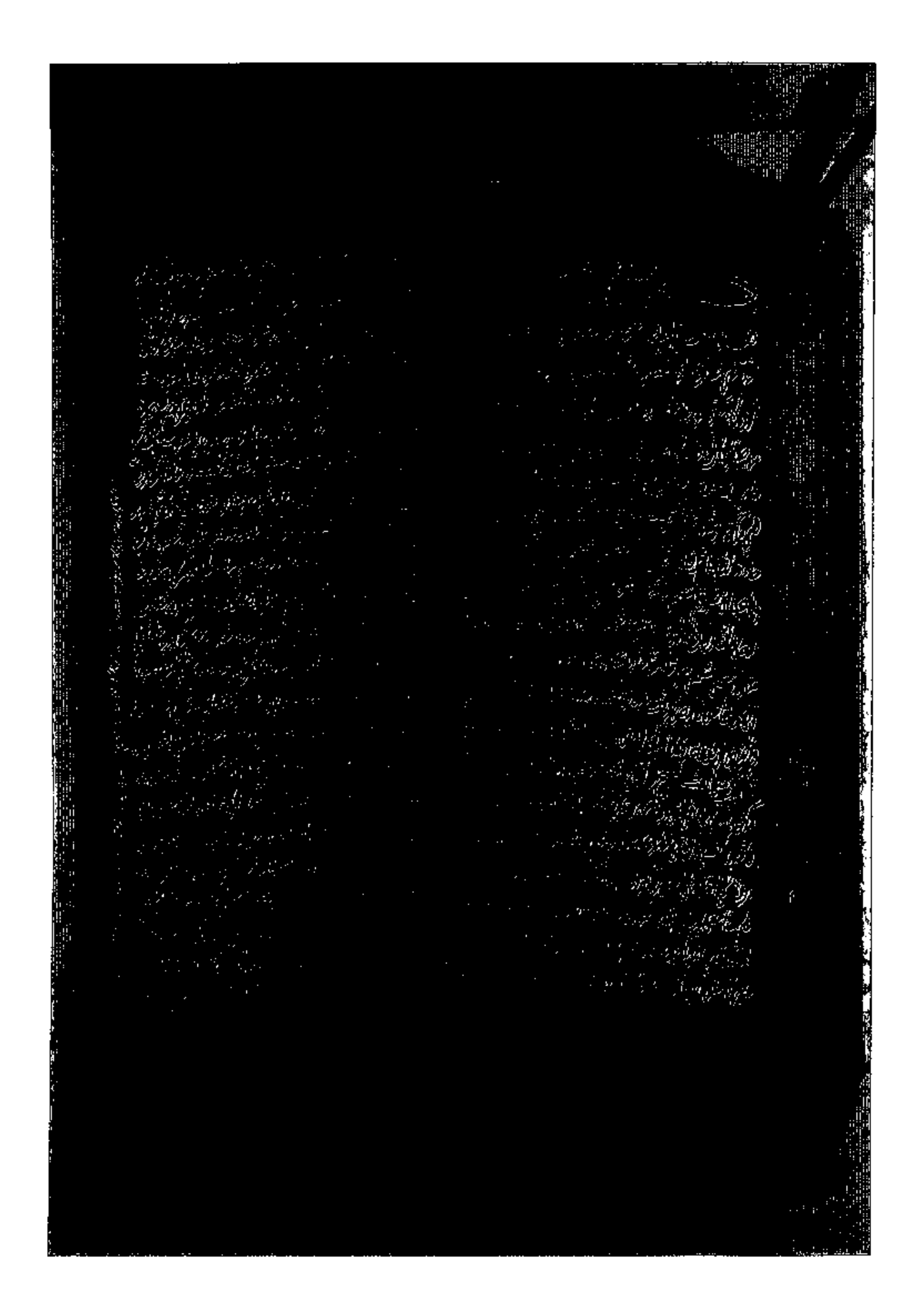
الأول منها في المسائل الفقهية، وقد طبع مع مجموع الفتاوى باسم (مسائل لخصها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب من كلام ابن تيمية)، وهو مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزء الثالث عشر.

وأما الكتاب الثاني من المخطوط، فهو مسائل نقلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من كتاب الرد على النصارى لأبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى.

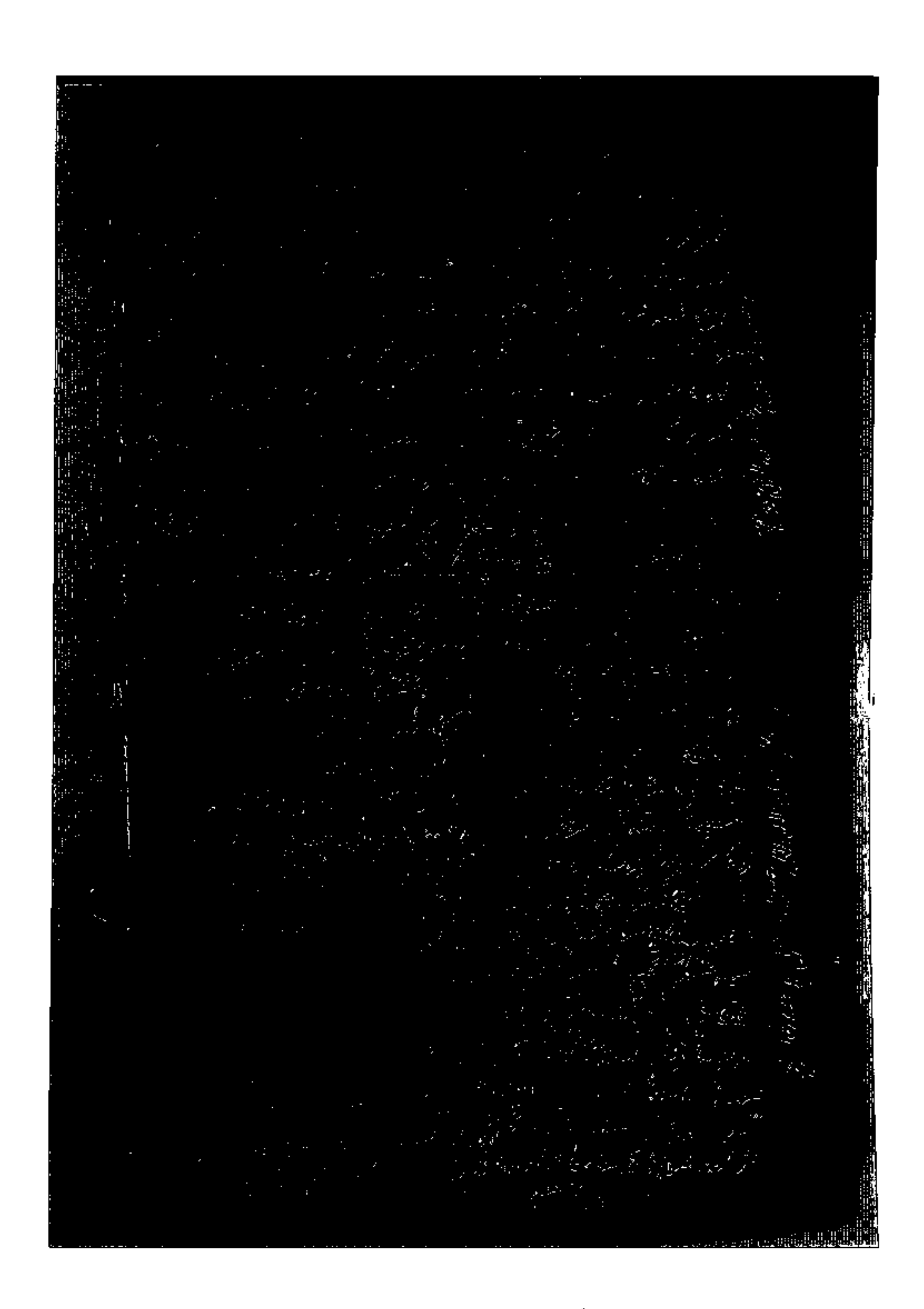
وأشار الاستاذ خالد المانع إلى أن الربيعي يعد أكثر النساخ النجديين غزارة من حيث المخطوطات المحفوظة إلى اليوم وتحدث عن بعض مخطوطاته ومجاميعه.

خالد المانع. ناسخوا المخطوطات النجديون، ١٤٣١هـ، ص ١١٠.

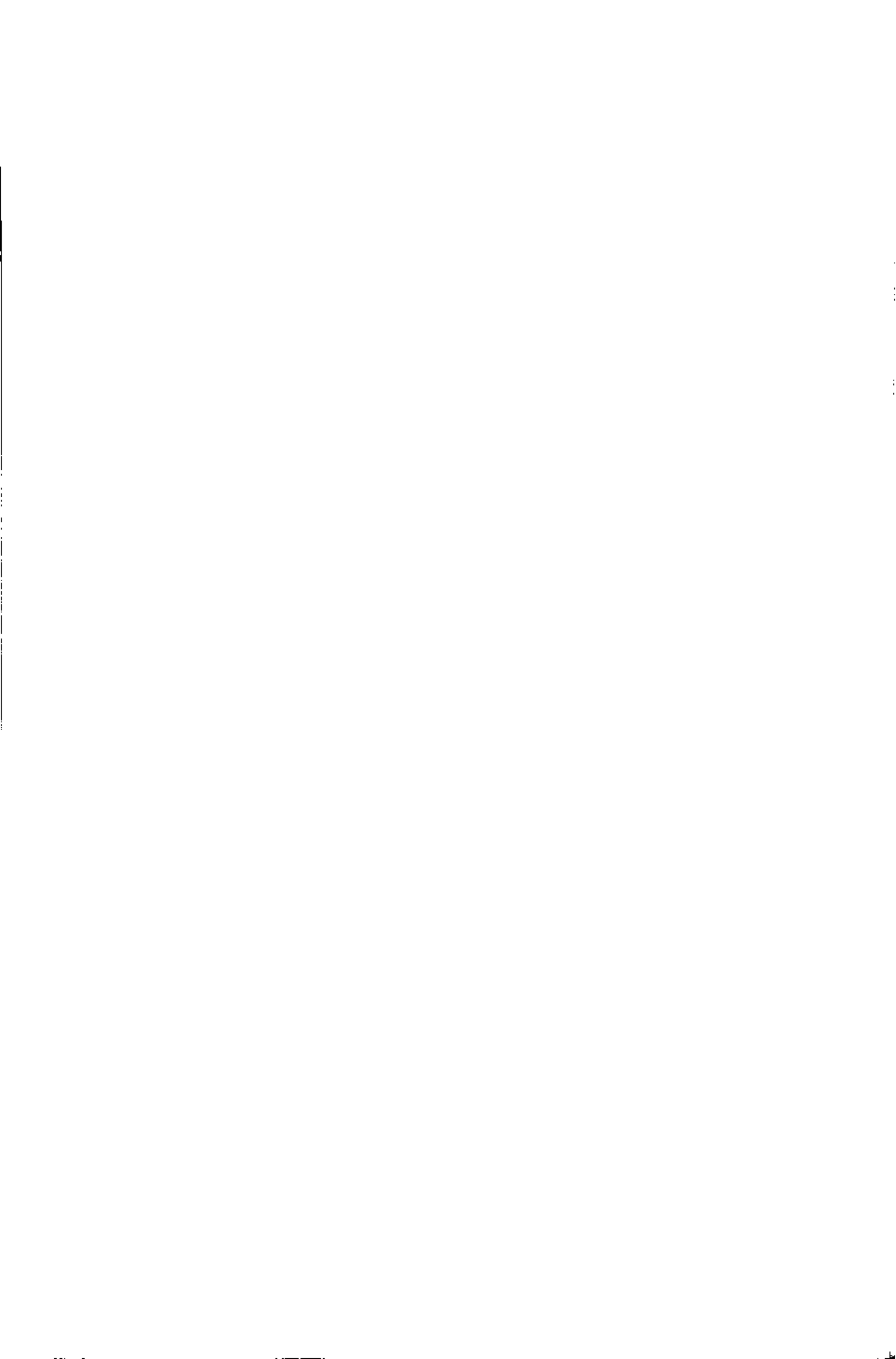
فإذا أراد الشيخ محمد نسخ بعض الكتب ومقابلاتها على أصولها فإنه يدفعها إلى تلميذه الناسخ الشيخ الربيعي رحمه الله.



الورقة الأولى من النسخة الخطية



الورقة الأخيرة من النسخة الخطية





مكتبة النهج الواضح

مختصر

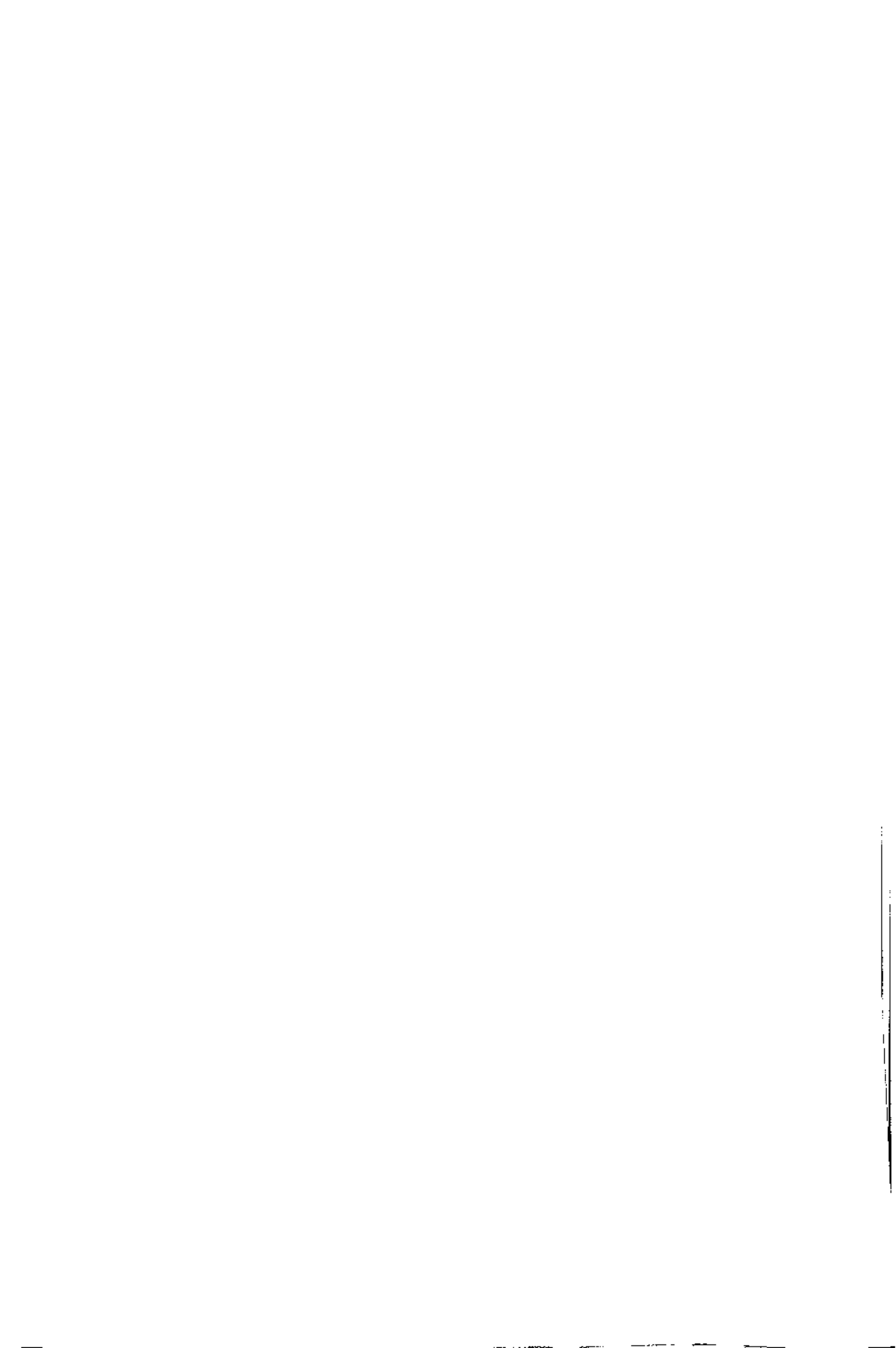
الجواب الصحيح

- تُطبع لأول مرة -

لشيخ الإسلام
أبي العباس أحمد بن عبد الحليم
بن تيمية الحراني
رحمه الله تعالى
٦٦١ - ٧٢٨هـ

اختصره شيخ الإسلام
محمد بن عبدالوهاب التميمي
رحمه الله تعالى
١١١٥ - ١٢٠٦هـ

تحقيق
مِشَارِي بِنْ حُمُود الْحِرْفَه





بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل نقلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – من الرد على النصارى، لأبي العباس أحمد ابن تيمية – رحمه الله تعالى –:

[ما جاء في بشارات الكتب السماوية بالدين الإسلامي][1]

الأولى: ذكر في التوراة: ((جاءَ اللهُ مِنْ طُورِ سَيْنَا، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ))[2].

فالأوَّلُ: إنزالُ التوراة.

والثاني: إنزالُ الإنجيل.

والثالثُ: محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ما بين القوسين من صنيع المحقق.

(٢) سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون:٢.

وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلافٌ أن فاران هي مكَّةُ، وهذا على الترتيب الزماني، وهذه الكتبُ نورُ الله وهداهُ، ففي الأوَّل: (جاء)، وفي الثاني: (أشرق)، والثالث: (استعلن)، فمجيء التوراة كطلوع الفجر، والإنجيل كإشراق الشمس، والقرآن بمنزلة ظهور الشمس في السماء.

فظهر به نورُ الله بالمشارق والمغارب أعظمَ ممَّا ظهر بالكتابَيْن، ولهذا سمّاه الله: ﴿سِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1]، وسمَّى الشمس: ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[2]، والخلقُ محتاجون إلى الأوَّل أعظمَ من الثاني؛ لأنهم محتاجون إليه في وقت دون وقت، وهذه الثلاثةُ أقسم الله بها في قوله: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[3].

(١) سورة الأحزاب: ٤٦.

(٢) سورة النبأ: ١٣.

(٣) سورة التين آية ١ – ٣.

فالأوَّلُ: الأرضُ المقدَّسة التي يثبت[1] فيها ذلك، ومنها بعثُ المسيح.

والثاني: الجبلُ الذي كلَّم الله عليه موسى، والبلدُ الأمين مكَّةُ. ولمَّا كان ما في التوراة خبراً عنها، أخبر بها على الترتيب الزماني، وأما القرآن فأقسم بها تعظيماً لشأنها، على وجه التدريج درجة بعد درجة، كقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ ... إلخ.

الثانية: في الزَّبُور: ((يُكَبِّرُونَ اللهَّ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ))، وقبلَهُ: ((يُسَبِّحُونَهُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ، بِأَيْدِيهِمْ سُيُوفٌ ذَاتُ شَفْرَتَيْنِ))[2]، وهذه إنما تنطبق على محمَّدٍ وأمَّته، فهم الذين يكبِّرون بأصواتٍ مرتفعةٍ في أذانهم، وعلى الأماكن العالية، كما قال جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنه: " **إذا عَلَوْنا كَبَّرْنَا، وَإِذَا هَبَطْنَا سَبَّحْنَا، فَوُضِعَتِ الصَّلَاةُ عَلَى ذَلِكَ** "[3]، وهم يكبِّرون

---

(١) في الأصل: (ينبت).

(٢) مزمور: التاسع والأربعون بعد المائة: ١-٩.

(٣) الحديث بهذا السياق هو من رواية ابن عمر -رضي الله عنهما- أخرجه

بأصواتٍ مرتفعةٍ في أعيادهم، وفي أيام مِنى، وعقيب الصلوات، وعلى قرابينهم، وعلى الصفا والمروة، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[1]، وقال: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وليس هذا لغيرهم، فإن موسى -عليه السلام- يجمعهم بالبوق، والنصارى لهم ناقوس، والسيوفُ

أبو داود (٢٥٩٩) بآخر الحديث، وأوّلُه: " أَنَّ رَسُولَ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بِعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا..."، فقال فيه: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُيُوشُهُ إِذَا عَلَوْا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا، فَوُضِعَتِ الصَّلَاةُ عَلَى ذَلِكَ ".

وأمَّا حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- فرواه البخاري (٢٩٩٣) و(٢٩٩٤)، ولفظ الرواية الأولى: عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: " كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا ". وجاء في البخاري (٧٣٨٦) في كتاب التوحيد من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: " كُنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فَكُنَّا إذا عَلَوْنا كَبَّرْنا فقال: ارْبَعوا على أنفسكم ..." الحديث، من غير لفظة " وإذا هَبطنا سَبحنا ".

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة الحج: ٣٧.

ذاتُ الشَّفرتَيْن هي العربيةُ التي فتح بها الصحابةُ وأتباعُهم البلاد.

وقولُه: ((يُسَبِّحُونَهُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ))، أي يذكرون الله حتى في هذه الحال، ويصلُّون في البيوت على المضاجع، بخلاف أهل الكتاب، فالصلاة أعظم التسبيح[1]، والنصارى [قد][2] تعيب من يقاتل الكفار! وفيهم من يجعله من معائب محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمَّته.

الثالثةُ: في الزَّبور: ((**تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ بِالسَّيْفِ، شَرَائِعُكَ مَقْرُونَةٌ بِالْهَيْبَةِ**))[3]، فليس متقلِّد السيف من الأنبياء بعد داود إلّا محمد- صلى الله عليه وسلم -، وقرنت شرائعه بالهيبة؛

(١) كما في قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٧ – ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

(٢) زيادة من الأصل.

(٣) المزمور الخامس والأربعون: ٢- ٥.

كقوله: " **نُصِرْتُ بالرُّعْبِ** "[1]، وخاطبه بلفظ " الجبار " إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف، وهو نبيُّ الرحمة، [و][2] نبيُّ الملحمة، وأمَّتُه أشدَّاءُ على الكفار، رحماءُ بينهم، بخلاف من كان ذليلاً للطَّائفتين من النصارى، أو عزيزاً على المؤمنين من اليهود، بل مستكبراً.

الرابعة: والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على أن الأنبياء أنذرت بالمسيح الدجَّال، وعلى أن الأنبياء بشَّروا بالمسيح من ولد داود، ومتفقون أن مسيح الضلالة لم يأتِ، وعلى أن مسيح الهدى سيأتي أيضاً.

ثم المسلمون والنصارى متَّفقون على أنه عيسى، واليهود تنكر ذلك، مع إقرارهم أنه من ولد داود، وقالوا: ((لأنه تؤمن به الأممُ كلُّها))، والنصارى مُقرُّون بأنه بُعث، وأنه سيأتي، لكن يقولون يوم القيامة؛ ليجزي الناس بأعمالهم.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٥ ، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)؛ كلاهما عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) زيادة من الأصل.

وأمَّا المسلمون فآمنوا بما أخبرت به الأنبياءُ على وجهه، وهو موافقٌ لما أخبر به خاتم الرسل - صلى الله عليه وسلم -؛ حيث قال: "**يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ** ..."[1] إلخ، وهذا تفسيرُ قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[2].

وهذا في نعته عند أهل الكتاب، لكن النصارى ظنُّوا أنه يوم القيامة، كما غلطوا في مجيئه الأول، حيث ظنُّوا أنه الله، واليهود أنكروا مجيئه الأول، وظنوا أنه غير المبشَّر به، وليس هو الذي يأتي آخراً، وصاروا ينتظرون غيره، وإنما بُعث إليهم أوَّلا فكذَّبوه، وسيأتي ثانياً، فيؤمن به كلُّ من على وجه الأرض من يهودي أو نصراني، إلّا من قُتل أو مات، ويظهر كذبُ هؤلاء[3].

---

(١) أحمد (٧٢٦٩) واللفظ له، والبخاري (٢٤٧٦، ٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة النساء: ١٥٩.

(٣) أي: كلا الطائفتين الذين غلوا، والذين فرّطوا.

ولَمَّا كان نازلاً في هذه الأمة، صار بينه وبين محمد – صلى الله عليه وسلم– من الاتصال ما ليس بينه وبين غيره؛ كما قال: " **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِابنِ مَرْيـمَ لَأَنَا، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَه نَبِيٌّ** "[1]، ورُوي: " **كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا فِي أَوَّلِهَا، وَعِيسَى فِي آخِرِهَا**"[2].

الخامسة: قولُه: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾[3] إلخ.

(١) رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٤)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ قريب منه، ولفظه عندهما: " **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**".

(٢) رواه ابن عساكر في "معجمه" (٥٤٤) من طريق خالد بن يزيد، عن محمد بن إبراهيم، أن أمير المؤمنين أبا جعفر حدثه عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– به مرفوعًا.

قال ابن عساكر: " هذا حديث غريب جدًّا، وخالد بن يزيد غير مشهور، ومحمد بن إبراهيم هو ابن محمد بن علي الإمام، وأبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس".

(٣) قال تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ سورة الشعراء: [٢١٠ – ٢١٢].

بيَّن أنه لا يصلح لهم النزولُ به، بل هم منهيُّون، وهم ممتنعون عنه، لا يريدونه، وأنهم لو أرادوا لعجزوا، وذلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريداً له قادراً عليه، و﴿ يَنۢبَغِي ﴾[1]: مضارع بَغَى يَبْغي: أي طلب وأراد. فالذي لا ينبغي للفاعل: هو الذي لا يطلبُه ولا يريدُه، إما لكونه ممتنعاً منه، أو ممنوعاً منه.

السادسة: قوله: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾[2]، وإن كانوا كلهم كاذباً، فليس كل من ألقا[3] السمع يكذب فيما يلقيه.

السابعة: وهذه الأمور الغيبية المفصَّلةُ لا يوجد[4] خبرُها قطُّ إلّا عن نبيٍّ، كموسى، ومحمد، فليس أحدٌ ممَّن يدَّعي المكاشفات يخبر بشيء من ذلك، ولهذا كان هذا من خصائص الأنبياء.

---

(١) سورة الشعراء: ٢١١.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٣.

(٣) في الأصل: (ألقى).

(٤) في الأصل: (يؤخذ).

وأهلُ الملل متَّفقون على ما دلَّ عليه العقلُ الصريح، أن هذا لا يُعلم إلّا بخبر نبيٍّ، وقولُه: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1] إلخ، بيَّن أنه غيْبٌ يضاف إليه، يختص به، لا يُعلم إلّا من جهته، بخلاف ما يغيب عن بعض الناس، ويعلمه بعضُهم، فإن هذا قد يتعلَّمُه بعضُهم من بعض.

الثامنة: قولُه تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾[2] إلخ.

التاسعة: والآياتُ على نبوَّته كثيرةٌ، أكثرُ من آيات غيره، والقرآن كلامُ الله، وفيه الدعوة والحجَّة، فله به اختصاصٌ؛ كما

---

(١) قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ سورة الجن: ٢٦ – ٢٨.

(٢) قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ سورة فصلت: ٥٣ – ٥٤.

في الصحيح: " مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ ..."[1] إلخ.

العاشرة: ودلائلُ النبوَّة كدلائل الربوبيَّة، فيها الظاهر البيِّنُ لكلِّ أحد، كالخوارق[2] المشهورة، مثل خلق الحيوان، والنبات، والسحاب، وإنزال المطر، وفيها ما يختصُّ به مَنْ عَرَفَه، فإن الخلق كلَّهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق، ورسله. وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فالله يجودُ به على عباده جوداً عامّاً ميسَّرا، به ذكر النفس ثم الماء ثم الطعام.

الحادي عشر: الأممُ نوعان: نوعٌ لهم كتابٌ، ونوعٌ لا كتابَ لهم، والكلُّ لابدَّ له من علم وعمل بحسَبه، وهو من الهداية

---

(١) رواه البخاري (٤٩٨١) و(٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢)، كلاهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: " مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وهذا لفظ مسلم.

(٢) في الأصل: (كالحوادث).

العامَّة لكل إنسان، بل لكلِّ حيٍّ؛ كقوله: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[2]، وقال: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾[4].

والأمم متفاضلون في معرفة الخالق، وفي الإقرار بالمعاد بعد الموت، وفيما يحمدونه ويستقبحونه[5] من الأفعال والصفات، لكن عامَّتهم على أن العدل خير من الظلم، والصدق خير من الكذب، والعلم خير من الجهل.

والمعادُ إمّا للأرواح أو للأبدان، فيُقِرُّ به كثير من الأمم غير أهل الكتاب، وإن كان على وجه قاصر، وذلك أن أهل الأرض

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) سورة الأعلى: ٣.

(٣) سورة العلق: ٥.

(٤) سورة البلد: ١٠.

(٥) في الأصل: (يستحسنونه).

في المعاد على أربعة أقوال: الإقرار، والإنكار، أو الإقرار بمعاد الروح دون البدن، أو عكسه.

وعقلاءُ جميع الأمم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، وتنهى عن الظلم والفواحش، ولهم علومٌ إلهيَّةٌ، وعباداتٌ بحسَبهم، ويعظِّمون أهل العلم والدين منهم.

والهند [و][1] اليونان والفُرس في ذلك أكملُ من كفار الترك والبربر ونحوهم، ومعلومٌ عند الاعتبار أن الذين لهم كتابٌ أكملُ ممَّن لا كتاب لهم، فإنَّ كل طريق صحيح من الطرق العقلية، والإلهاميَّة وغيرها، شارك فيه أهلُ الكتاب، وامتازوا بعلوم وأعمال أخذوها عن الأنبياء، وهذا ظاهرٌ في الأخلاق والسياسات.

وأمَّا في العبادات، والإيمان بالله، واليوم الآخر، فرُجحانُهم فيه ظاهر.

(١) في المخطوط: (في)، وما أثبته من الأصل.

وأمَّا علومٌ أو أعمالٌ يكون ضررُها راجحاً، كالسحر والطلسمات، وما يُتوسَّل به من الشرك إلى استخدام الشياطين، فهذا [وإن][1] كان غير أهل الكتاب أَقْوَمُ به، فإنما ذلك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة.

ولهذا لما ذكر الله - سبحانه - براءة سليمان - عليه السلام - من ذلك، وكانت الشياطين كتبتْ سِحْراً وكُفراً، ودفنوها تحت كرسيِّه، فلمَّا مات أظهروا ذلك، [وقالوا][2]: إنما كان يُسحر الجنَّ بهذه الأسماء في العزائم[3]، فصدَّقهم فريقان، فريقٌ قدحوا في سليمان، بل كفَّروه !! وفريقٌ قالوا: نقتدي به، ويقولون: إن هذه الأسماء مكتوبةٌ على تاجه، وهذا صورة خاتمه، وهذا كلام (آصف بن برخيا)، إلى أمثال ذلك، ذكره العلماء[4] في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾-

---

(١) في المخطوط: (بأن)، وما أثبته من الأصل.

(٢) زيادة من الأصل.

(٣) في الأصل: إِنَّمَا كَانَ يُسَخِّرُ الْجِنَّ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْعَزَائِمِ.

(٤) انظر: " تفسير ابن جرير الطبري " (٢/٣٢٨-٣١٦)، و" تفسير

إلى قوله -: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾[1] أي: نصيب، أي إنما يطلبون به أغراضهم الدنيوية، وذلك ضارٌّ لهم لا نافع، كما قال في المشرك: ﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾[2].

ثم قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ الآية[3]، من أن بالإيمان والتقوى يحصل لهم ما هو خيرٌ لهم من هذا، وهذا كقوله: ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4]، فإن ما تطلبه النفوس فيه لذَّةٌ، يُجعلُ خيراً بهذا الاعتبار، لكن إذا كان الألم زائداً على اللذَّة، كان شرُّه أعظم من خيره، والشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها،

البغوي " (١/ ١٢٨-١٢٧)، و" تفسير القرطبي " (٢/ ٤٢)، و" تفسير ابن كثير" (١/ ٣٤٩-٣٤٥).

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة الحج: ١٣.

(٣) سورة البقرة: ١٠٣.

(٤) سورة الجمعة: ٩.

وهذا أمرنا سبحانه أن نأخذ ما أنزل إلينا من ربِّنا بالأحسن، وهو إما واجب، وإما مستحب، قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] الآية، فاقتضى أن غيرهم لم يهده، وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالتي هي أحسن، وهو مشكل، وقد تكلَّم الناس فيه، ونظيرُه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2]، وقوله: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[3]، مع قوله: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[5]، وقال: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[6]، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1]،

---

(١) سورة الزمر: ١٧ – ١٨.

(٢) سورة الإسراء: ٥٣.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٦.

(٤) سورة الرعد: ٢٢، وسورة القصص: ٥٤.

(٥) سورة النحل: ١٢٥.

(٦) سورة العنكبوت: ٤٦.

وقد يقال نظير قوله: ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[4]، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[5] الآية، وقوله: ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[6].

ونظائرُه كثيرةٌ، ممَّا يذكر فيه أن المأمور به خيرٌ وأحسنُ من المنهيِّ عنه، وإن كان الأوَّلُ واجباً، والثاني محرَّماً، لأن المأمور به قد يشتمل على مفسدة مرجوحة، والمنهيَّ عنه يشتمل على مصلحة [مرجوحة][7] كذلك، فيكون بهذا الاعتبار في هذا خير وحسن، وفي هذا شرٌّ وسيّء، لكن هذا خيرٌ وأحسنُ إن

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٢، وسورة الإسراء: ٣٤.

(٢) سورة الجمعة: ٩.

(٣) سورة النمل: ٥٩.

(٤) سورة طه: ٧٣.

(٥) سورة النساء: ١٢٥.

(٦) سورة المائدة: ٨.

(٧) زيادة من الأصل.

كان واجباً، فقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[1]، أمرٌ بالأحسن من فعل المأمور وترك المحظور، وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحبِّ، فإن كلاهما أحسنُ من المحرَّم والمكروه، لكن يكون الأمر أمرَ إيجاب أو أمرَ استحباب، كما أَمَر بالإحسان في قوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، والإحسان منه الواجب، ومنه مستحبٌّ.

وإذا كان جنس أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة، ممَّن لا كتاب لهم، فمعلومٌ أن هذه الأمَّة أكملُ من أهل الكتابَيْن وأعدل، وقد جُمِعَ لهم محاسنُ ما في التوراة والإنجيل، فليس عند أهل الكتاب فضيلةٌ علميَّةٌ وعمليَّةٌ إلّا وأمَّةُ محمد - صلى الله عليه وسلم - أكملُ منهم فيها.

---

(١) سورة الزمر: ٥٥.

(٢) سورة البقرة: ١٩٥.

فأمَّا العلومُ: فهم أحذقُ من جميع الأمم، حتى التي ليست دينية، كعلم الحساب، والطبِّ، ونحو ذلك. فهم فيها أحذق، ومصنَّفاتُهم فيها أكملُ، بل أحسنُ علماً وبياناً لها من الأوَّلين الذين كانت هي غاية علمهم، وقد يكون الحاذقُ فيها من هو عند المسلمين مرميٌّ بنفاق، ولا قدر [له][1] عندهم، لكن حصل له بما تعلَّمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الحذق في تلك العلوم، فصار حثالةُ المسلمين أحسنَ معرفةً وبياناً لها.

وأمَّا العلومُ الإلهيَّةُ فكلُّ من نظر في كلام المسلمين وأهل الكتاب، وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتمَّ. ومعلومٌ أن أهل الكتاب فيها أتمُّ من غيرهم.

وأمَّا العبادة، والسياسة، والأخلاق، فالكلام فيها مبنيٌّ على أصل: وهو معرفةُ المقصود بها، وما يحصل به المقصود.

---

(١) في المخطوط: (لهم)، فأثبت ما في الأصل.

فمن الناس من يقول: المقصود بها تهذيبُ النفوس لتستعدَّ للعلم، وهذا قولُ المتفلسفة ومَن تبعهم من متكلِّمٍ ومُتصوِّفٍ ومُتفقِّهٍ، كما يوجد في كتب أبي حامدٍ وغيره، لكن أبو حامد يختلف كلامه، تارة يوافقهم، وتارة يخالفهم، وغايةُ ما عندهم من العبادات والحكم[1] العملية، أنهم رأوا النفس فيها شهوةٌ وغضبٌ من حيث القوَّة العملية، ولها نظرٌ من جهة القوة العلمية، فقالوا: كمالُ الشهوة في العفَّة، وكمال الغضب في الحلم والشجاعة، وكمال القوة [النظرية في][2] العلم، والتوسُّط في جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو العدل.

وما ذكروه من العمل متعلِّقٌ بالبدن[3]، لم يثبتوا خاصيَّة النفس التي هي محبَّةُ الله وتوحيدُه، بل ولا عرفوا ذلك، كما لم يكن عندهم من العلم بالله إلّا قليلٌ، مع كثير من الباطل، ومحبَّةُ الله وتوحيدُه هو الغاية التي فيها صلاحُ النفس، وبدونه

(١) في الأصل: (الحكمة).

(٢) في المخطوط: (النظر بين)، فأثبت ما في الأصل.

(٣) في الأصل: (الندب).

تكون فاسدةً، ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل، ومن لم يحصل له، لم يكن من أهل النجاة والسعادة، فعبادةُ الله وحده، وكونه أحبَّ إلى العبد من كل شيء، هو أعظم وصيَّةٍ وكلمةٍ جاء بها المرسلون، وضدُّ هذا هو الشركُ الذي لا يُغفَر، ولهذا كثُر في الكتب الإلهية الأمرُ بذلك، فما ذكروه[1] من الحكمة ليس فيها من الأعمال ما تسعد به النفوس، وتنجو من العذاب، كما أن ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

فليس عندهم من العلم ما تهتدي به النفوس، ولا من الأخلاق ما هو دينٌ حقٌّ، وهذه الأربع التي ذكروها لابُدَّ منها في صلاح النفس. لكن لم يَحُدّوا ما يُحتاج إليه بحدٍّ يُبيِّن مقدار ما تحصل به النجاةُ والسعادةُ، ولكن الأنبياء بيَّنوا ذلك، قال الله - سبحانه -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

(١) أي: المتفلسفة.

بَطَنَ ﴾[1] الآية، فهذه الأربعة التي حرَّمها تحريماً مطلقاً، [ولم يُبح منها شيئاً لأحدٍ من الخلق، ولا في حالٍ من الأحوال][2]، بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير وغير ذلك، فإنه يحرم في حال، ويباح في حال، [وأما الأربعة فهي محرَّمة مطلقاً][3]، فالفواحش متعلِّقةٌ بالشهوة، والبغيُ يتعلَّق بالغضب، والشركُ فسادُ أصل العدل، فإن الشرك ظلم عظيم، والقول على الله بلا علم فسادٌ في العلم، فقد حرَّم الله – سبحانه – هذه الأربعة، وهي فسادُ الشهوة، والغضب، وفسادُ العدل والعلم.

---

(١) قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

(٢) هذه زيادة من الأصل لابد منها.

(٣) هذه زيادة من الأصل لابد منها.

[ما جاء فيما يوجب كمال النفس واختلاف الأمم فيه]

وقد بيَّنَّا أن النفس لها كمالٌ في العلم والإرادة، وأن العلم المجرَّد ليس كمالاً لها ولا صلاحاً، وبيَّنَّا غلط الجهمية في قولهم: (الإيمان مجرَّدُ العلم).

إلى أن قال: وهم أيضاً مختلفون في صفاتها[1]، فمنهم من يظن أن الأشقَّ هو الأفضل، وهذا مذهبُ كثير من المشركين: الهند وغيرهم، وكثيرٌ من مبتدعة المسلمين.

ومنهم من يقول: الأفضلُ ما كان أدْعى إلى تحصيل الواجبات العقلية.

ومنهم من يقول: الأفضلُ لا علَّة له، بل يرجع الى محض المشيئة.

والرابع - وهو الصواب -: أن أفضلها ما كان لله أطوع، وللعبد أنفع، وعلى كل قول، فعباداتُ المسلمين أكمل، [أمَّا الأوَّلُ فيقال][2] لهم: الجهادُ أعظمُ مشقَّةً من الجوع والسهر

---

(١) أي: في العبادات.

(٢) في المخطوط: (أما الأولون فيقال)، فأثبتُّ ما في حاشية المخطوط من

وغير ذلك، وأمَّا على القول الثاني[1]، فلا ريب أن عبادات المسلمين أدعى إلى العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم، فإنها متضمنة الظلم المنافي للعدل[2]، وأما على قول النفاة[3] فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله [الذي جاء به الرسل، يكون متعبِّدًا بما أمر الله به][4]، بخلاف من عباداتُه قد ابتدعها أكابرهم.

وأمَّا على القول الرابع: فما عُلم أن الله أمر به، يتضمَّن طاعته، دون ما ابتُدع، وأما انتفاع العباد بها، فهذا يُعرف بثمراتها، ومن ذلك آثارُها في صلاح القلوب، فليتدبّر الإنسان عقول المسلمين وأخلاقهم وعدلهم، يظهر له الفرق.

تصحيح الناسخ.

(١) الذي جعل العبادات الشرعية لطفاً في الواجبات العقلية.

(٢) أي: العبادات التي ابتدعها الكفار.

(٣) نفاة التعليل.

(٤) زيادة من الأصل لابد منها.

فالصلاةُ فيها من الكمال والاعتدال، كالطهارة، والاصطفاف، والركوع، والسجود، واستقبال بيت إبراهيم، والإمساك عن الكلام، وما فيها من الخشوع، وتلاوة القرآن، واستماعه، الذي يَظْهر الفرق بينه وبين غيره لكل متدبِّر منصف، إلى أمثال ذلك، مما يظهر به فضلُ عبادات المسلمين.

وأما حُكمهم في الحدود والحقوق، فلا يخفى على عاقل [فضلُه][1]، حتى إن النصارى - في طائفة من بلادهم - يُنصِّبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين.

وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين في التوحيد، والنبوَّات، والحلال والحرام، وغير ذلك، ممَّا بيّن[2] أنهم أفضل من الأمَّتين، مع أن دلائل هذا كثيرة.

إلى أن قال: ولهذا لا يجب علينا الإيمان بكلِّ ما يقوله بشر، إلّا أن يكون نبيّاً، فإن الإيمان واجبٌ بكلِّ ما يأتي به النبيُّ، قال

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) في الأصل: (يبيّن).

الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[1] الآية، وقال: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾[2] الآية.

والآياتُ إمَّا من باب العلم والخبر والمكاشفات، وإمَّا من باب القدرة والتأثير والتصرُّف.

وفي القرآن من الإخبار بالمستقبلات شيءٌ كثيرٌ، كقوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[3] الآية، وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[4] الآية، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾[5] الآية، وقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ

---

(١) قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ سورة البقرة: ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) سورة الروم: ١ - ٢.

(٤) سورة النور: ٥٥.

(٥) سورة الفتح: ٢٨.

﴿ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾[1] الآية، وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾[2] الآية، وقال للمسيح: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[3]، وقال: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾[5] الآية، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ ﴾ الآية[6]، وقال: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[7]، ....

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٤.

(٣) سورة آل عمران: ٥٥.

(٤) سورة القمر: ٤٥.

(٥) سورة الفتح: ٢٢.

(٦) سورة المائدة: ١٤.

(٧) سورة المائدة: ٦٤.

وقال: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ الآيتين[1]، وقال: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية[2].

وهذا دليلٌ من وجهين:

من جهة إخباره بأنَّه لا يكون أبداً، ومن جهة صرف دواعيهم، وهذا من أعجب الخوارق؛ مع حرصهم على تكذيبه، لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بالتمنِّي.

---

(١) قال تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ سورة آل عمران: ١١١ – ١١٢.

(٢) قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة البقرة: ٩٤ – ٩٦.

وقال: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[1] الآيات، وقال عن عمِّه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾[2] فماتا كافرين، وقال: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾[3] الآية، وقال: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾[4] الآية، وقال: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾[5] الآية.

---

(١) قال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ سورة المدثر: ١١ – ٢٨.

(٢) سورة المسد: ١.

(٣) سورة الفتح: ٢٠.

(٤) سورة الفتح: ٢٧.

(٥) سورة الفتح: ١٦.

وهذا كلُّه وقع، حصلت الغنائمُ الكثيرةُ، ودخلوا المسجد الحرام آمِنينَ، ودُعيت العرب[1] إلى قتال الروم والفرس، يقاتلونهم أو يُسلمون، ليس هناك هدنةٌ بلا قتال، كما قد يكون قبل نزول الآية.

وقال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ ﴾[2] الآية، فدخلوا في الدين أفواجاً بعد الفتح، فلما مات - صلى الله عليه وسلم - وفي بلاد العرب موضعٌ لم يدخله الإسلام[3].

وقال عن المنافقين: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾[4] الآية، وكان كذلك.

---

(١) في الأصل: (الأعراب).

(٢) سورة النصر: ١ - ٢.

(٣) قال الناسخ في الحاشية: (لعله: لم يدخل في الإسلام).

(٤) سورة الحشر: ١٢.

وضرب الله لهم مثلاً بالشيطان: ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾[1]الآية، وفي الأحاديث الصحيحة ممَّا أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر شيءٌ كثيرٌ؛ كما في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم عن عوف بن مالك قال: " أُعْدُدْ سِتّاً " الحديث[2]، واستفاض المالُ في خلافة عثمان، حتى يُعطَى الرجل مائة دينار فيسخطها، وكانت الفَرَس تُشترى بوزنها، ثم وقعت الفتنة العامَّة بقتله.

---

(١) سورة الحشر: ١٦.

(٢) البخاري (٣١٧٦)، ولفظه: عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ – وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ –، فَقَالَ: "اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً ".

وفيهما عن أبي هريرة مرفوعاً: " **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى** "[١]، فظهرت سنة بضع وخمسين وستمائة، ورآها الناس، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى، وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم[٢].

ثم ذكر أحاديث، وقال: وفي صحيح مسلم: " **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا** ..." الحديث[٣]، وهذا أخبر به في أوّل الأمر،

---

(١) البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه لكن بدون إضافة لفظة (لها).

(٢) انظر: "شرح مسلم" للنووي (١٨/ ٢٨)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (٤٨/ ١٨-٢٢)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (٩/ ٣٠٠-٢٩٧) و(١٧/ ٣٤٢-٣٢٨).

(٣) مسلم (٢٨٨٩)، ولفظه: عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً**

وأصحابُه في غاية القلَّة، قبل فتح مكَّة، وكان كما أخبر، فإنَّ مُلكهم انتشر في الشرق والغرب، ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في المشرق والغرب، إذ كانت أمَّتُه أعدلَ الأمم، فانتشرت دعوتُه في الأقاليم التي هي وسط المعمور من الأرض، كالثالث، والرابع، والخامس.

وقد تقدَّم قولُه: " **إِذَا هَلَكَ كِسْرَى ...**"[1] إلخ، ومُلك قيصر وكسرى أعزُّ مُلك في الأرض، فلم يبقَ للفرس مُلك، وهلك قيصر الذي بالشام وغيرها، فلم يبق من هو مَلكٌ على

مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ".

(١) رواه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٨) (٧٥) و(٧٦)، ولفظه عند البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: " **إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ** ".

الشام، ولا مصر، ولا الجزيرة من النصارى، وهو الذي يُدْعى قيصر.

وقال في قيصر: "**ثَبَتَ مُلْكُهُ**"(١)، فثبت ببلاد الروم، ....

---

(١) هكذا ذكره الإمام الشافعي وغير واحد من أهل العلم عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- معلَّقًا بغير إسناد، كما في "مشكل الآثار" للطحاوي (١/ ٤٤٦)، و"السنن الكبرى" للبيهقي (٩/ ٢٩٩)، و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٢/ ٤٦١)، و"شرح السنة" للبغوي (١٣/ ٣١٠).

وروى أبو عبيد في "الأموال" (٥٩) واللفظ له، وسعيد بن منصور في "السنن" (٢٤٨٠)، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، قَالَ: كَتَبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ كِتَابًا وَاحِدًا، فذكر الحديث، وفيه: وَأَمَّا قَيْصَرُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا كِتَابٌ لَمْ أَرَهُ بَعْدَ سُلَيْمَانَ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَإِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - وَكَانَا تَاجِرَيْنِ بِالشَّامِ فَسَأَلَهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: بِأَبِي، لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ، لَيَمْلُكَنَّ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَهُ مُدَّةً». الحديث. وهذا مرسل.

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام في "الأموال" (٥٨)، وابن زنجويه في "الأموال" (١٠١)، والبيهقي في "السنن" (٩/ ٣٠٢-٣٠١) وفي "دلائل النبوة" (٤/ ٣٩٤)، عن عمير بن إسحاق، قَالَ: كَتَبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ

وفي كسرى: " مَزَّقَ اللهُ ملكه"، وهذا يُصدِّقُ بعضُه بعضاً[1].

وفي الصحيحين: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ "[2] الحديث، أخبر به حين كانت أمَّتُه أذلَّ[3] الأمم، فانتشرت في المشارق والمغارب، وكان كما أخبر به، فإنه - ولله الحمد والمنّة - لم تزل فينا طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف، لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ؛ فَأَمَّا قَيْصَرُ فَوَضَعَهُ، وَأَمَّا كِسْرَى فَمَزَّقَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيُمَزَّقُونَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَسَتَكُونُ لَهُمْ بَقِيَّةٌ ». وهذا مرسل أيضاً.

(١) انظر: "دلائل النبوة" للبيهقي (٤/ ٣٩٤)، و"شرح السنة" للبغوي (١٣/ ٣١٠)، و"البداية والنهاية" (٦/ ٤٩١-٤٩٠) و(٩/ ١٢٩-١٢٧).

(٢) بهذا اللفظ أخرجه مسلم (١٩٢٠) عَنْ ثَوْبَانَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ "، وروى البخاري (٧٣١١) واللفظ له، ومسلم (١٩٢١)، عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً: " لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهَ وَهُمْ ظَاهِرُونَ ".

(٣) في الأصل: (أقل).

وغيرهم، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء، بل إن غُلبت في قطر، كان في القطر الآخر أمَّة ظاهرة، لم يسلِّط على مجموعها عدوّاً من غيرهم، ولكن وقع بينها اختلافٌ وفِتنٌ.

ثم قال: أمَّا ما أخبر به، ممَّا لم يقع إلى الآن، فكثيرٌ جداً، وقد أخبر بأشياء وقعت في زمانه، كالذي قال أنه من أهل النار، فلمَّا [حضر][1]القتال، قاتل قتالاً شديداً[2]، ....

(١) في المخطوط: (حظر).

(٢) روى البخاري (٣٠٦٢) واللفظ له، ومسلم (١١١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ: "هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ"، فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالاً شَدِيداً فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ اليَوْمَ قِتَالاً شَدِيداً وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " إِلَى النَّارِ"، قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحاً شَدِيداً، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِذَلِكَ، فَقَالَ:" **اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** "، ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَنَادَى بِالنَّاسِ: «**إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**».

وكقصَّة كتاب حاطبٍ[1]، ....

(١) روى البخاري (٤٢٧٤) واللفظ له، ومسلم (٢٤٩٤): عن عُبَيْدَ اللهَّ بْنَ أَبِي رَافِعٍ، قال: سَمِعْتُ عَلِيّاً -رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ-، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: " **انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا** "، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " **يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟** "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفاً، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضاً بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " **أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ** "، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ: " **إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَّ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** ". فَأَنْزَلَ اللهُّ السُّورَةَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ) - إِلَى قَوْلِهِ- (فَقَدْ ضَلَّ

ونعي النجاشي[1]، وصحيفة قريش[2]، ....

سَوَاءَ السَّبِيلِ).

(١) روى البخاري (١٢٤٥) واللفظ له، ومسلم (٩٥١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا**". وجاء في البخاري (٣٨٧٧) واللفظ له، ومسلم (٩٥٢)، عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: " **مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ** ".

(٢) أي ما أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، - وهو محصور في الشعب - من تسليط الله -عز وجل- الأرضة على صحيفة الظلم التي كتبتها قريش، وتعاقدت على ما فيها من القطيعة والمكر والبغي والإجحاف بالنبيِّ - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، ومن ناصره من بني هاشم. والقصة رواها البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣١٤-٣١١) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري، وفيها: " فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ سِنِينَ تَلَاوَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَمِنْ بَنِي قُصَيٍّ، وَرِجَالٌ سِوَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ وَلَدَتْهُمْ نِسَاءٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا الرَّحِمَ واسْتَخَفُّوا بِالْحَقِّ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ مِنْ لَيْلَتِهِمْ عَلَى نَقْضِ مَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، وَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي الْمَكْرُ فِيهَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَرَضَةَ فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ. وَيُقَالُ: كَانَتْ مُعَلَّقَةً فِي سَقْفِ الْبَيْتِ، وَلَمْ تَتْرُكِ اسْمًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا إِلَّا لَحَسَتْهُ، وَبَقِيَ مَا كَانَ فِيهَا

مِنْ شِرْكٍ أَوْ ظُلْمَةٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، وَأَطْلَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ بِصَحِيفَتِهِمْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: لَا وَالثَّوَاقِبِ مَا كَذَبَنِي، فَانْطَلَقَ يَمْشِي بِعِصَابَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، وَهُوَ حَافِلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَامِدِينَ لِجَمَاعَتِهِمْ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ فَأَتَوْا لِيُعْطُوهُمْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: قَدْ حَدَثَتْ أُمُورٌ بَيْنَكُمْ لَمْ نَذْكُرْهَا لَكُمْ، فَأْتُوا بِصَحِيفَتِكُمُ الَّتِي تَعَاهَدْتُمْ عَلَيْهَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ صُلْحٌ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ خَشْيَةَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي الصَّحِيفَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِهَا، فَأَتَوْا بِصَحِيفَتِهِمْ مُعْجَبِينَ بِهَا لَا يَشُكُّونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِمْ، فَوَضَعُوهَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا وَتَرْجِعُوا إِلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ قَوْمَكُمْ، فَإِنَّمَا قَطَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ جَعَلْتُمُوهُ خَطَرًا لِهَلَكَةِ قَوْمِكُمْ وَعَشِيرَتِكُمْ وَفَسَادِهِمْ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ لِأُعْطِيَكُمْ أَمْرًا لَكُمْ فِيهِ نَصَفٌ، إِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ أَخْبَرَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ، وَمَحَا كُلَّ اسْمٍ هُوَ لَهُ فِيهَا، وَتَرَكَ فِيهَا غَدْرَكُمْ وَقَطِيعَتَكُمْ إِيَّانَا وَتَظَاهُرَكُمْ عَلَيْنَا بِالظُّلْمِ، فَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَ ابْنُ أَخِي كَمَا قَالَ فَأَفِيقُوا، فَوَاللهِ لَا نُسْلِمُهُ أَبَدًا حَتَّى نَمُوتَ مِنْ عِنْدِ آخِرِنَا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي قَالَ بَاطِلًا دَفَعْنَاهُ إِلَيْكُمْ فَقَتَلْتُمْ أَوِ اسْتَحْيَيْتُمْ. قَالُوا: قَدْ رَضِينَا بِالَّذِي يَقُولُ، فَفَتَحُوا الصَّحِيفَةَ فَوَجَدُوا الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ خَبَرَهَا، فَلَمَّا رَأَتْهَا قُرَيْشٌ كَالَّذِي قَالَ أَبُو طَالِبٍ، قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَ هَذَا قَطُّ إِلَّا سِحْرًا مِنْ صَاحِبِكُمْ،

وذكره قتل أُميَّة[1]، ....

فَارْتَكَسُوا وَعَادُوا بِشَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَالشِّدَّةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ رَهْطِهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنَّ أَوْلَى بِالْكَذِبِ وَالسِّحْرِ غَيْرُنَا، فَكَيْفَ تَرَوْنَ؟ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الَّذِيَ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ قَطِيعَتِنَا أَقْرَبُ إِلَى الْجِبْتِ وَالسِّحْرِ مِنْ أَمْرِنَا، وَلَوْلَا أَنَّكُمُ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى السِّحْرِ لَمْ تَفْسُدْ صَحِيفَتُكُمْ وَهِيَ فِي أَيْدِيكُمْ، طَمَسَ اللهُ مَا كَانَ فِيهَا مِنِ اسْمٍ وَمَا كَانَ مِنْ بَغْيٍ تَرَكَهُ، أَفَنَحْنُ السَّحَرَةُ أَمْ أَنْتُمْ؟ ". ورواها عروة بن الزبير ومحمد بن إسحاق بمعنى ما ذكر الزهري.

ينظر: "دلائل النبوة" لأبي نعيم (٢٠٥)، و"دلائل النبوة" للبيهقي (٢/ ٣١٤-٣١٥)، و"الجواب الصحيح" (٦/ ١٣٨-١٤٥).

(١) روى البخاري (٣٦٣٢): عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ؟ أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ:

وأخيه أُبَي[1]، ....

أَمَا وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ»، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ، فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لَا، مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَتْرُكُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ ".

(١) روى ذلك ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٢/ ٤٦)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٨٩١٠)، عن سعيد بن المسيب، قال: إنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ الجُمَحِيَّ، أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا افْتُدِيَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلم-، قَالَ لِرَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلم-: إِنَّ عِنْدِي فَرَسًا أَعْلِفُهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرَقَ ذُرَةٍ، لَعَلِّي أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلم-: «بَلْ

أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا، إِنْ شَاءَ اللهُ". فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَرْكُضُ فَرَسَهُ تِلْكَ، حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلم-، فَاعْتَرَضَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلم-: «اسْتَأْخِرُوا، اسْتَأْخِرُوا»، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلم- بِحَرْبَةٍ فِي يَدِهِ، فَرَمَى بِهَا أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ، فَكَسَرَتِ الْحَرْبَةُ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ثَقِيلًا، فَاحْتَمَلُوهُ حَتَّى وَلَّوْا بِهِ، وَطَفِقُوا يَقُولُونَ لَهُ: لَا بَأْسَ بِكَ، فَقَالَ لَهُمْ أُبَيٌّ: أَلَمْ يَقُلْ لِي: « بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ »، فَانْطَلَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَاتَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، فَدَفَنُوهُ. الحديث.

وعن كعب بن مالك قال: كان أبي بن خلف أخو بني جمح، قد حلف وهو بمكة، ليقتلن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته، قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " بل أنا أقتله - إن شاء الله عز وجل ". فأقبل أبي مقنعاً في الحديد، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير من بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر النبي - صلى الله عليه وسلم - ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بحربته، فوقع أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه، فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور، فقالوا: ما أجزعك! إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أنا أقتل أبياً "، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون،

وقصة [عمير][1] وصفوان[2]، ....

فمات إلى النار».

ينظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٦ / ١٤٧ – ١٤٩.

(١) في المخطوط: (عمر)، والصحيح ما أثبته من الأصل، وهو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، وهو ابن عم صفوان بن أميّة بن خلف، وقد أسلم وشهد غزوة تبوك.

(٢) روى البيهقي في "الدلائل" (٣/ ١٤٨–١٤٧) عن موسى بن عقبة في "كتاب المغازي" أنه قال: « لَمَّا رَجَعَ فَلُّ الْمُشْرِكِينَ إِلَى مَكَّةَ قَدْ قَتَلَ اللهُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، أَقْبَلَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ حَتَّى جَلَسَ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ صَفْوَانُ: قُبِّحَ لَكَ الْعَيْشُ بَعْدَ قَتْلَى بَدْرٍ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ بَعْدَهُمْ، وَلَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَا أَجِدُ لَهُ قَضَاءً، وَعِيَالٌ لَا أَدَعُ لَهُمْ شَيْئاً، لَرَحَلْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقَتَلْتُهُ إِنْ مَلَأْتُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، فَإِنَّ لِي عِنْدَهُ عِلَّةً أَعْتَلُّ بِهَا، أَقُولُ قَدِمْتُ عَلَى ابْنِي هَذَا الْأَسِيرِ. فَفَرِحَ صَفْوَانُ بِقَوْلِهِ وَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ، وَعِيَالُكَ أُسْوَةُ عِيَالِي فِي النَّفَقَةِ، لَا يَسَعُنِي شَيْءٌ وَيَعْجَزُ عَنْهُمْ، فَحَمَلَهُ صَفْوَانُ وَجَهَّزَهُ وَأَمَرَ بِسَيْفِ عُمَيْرٍ فَصُقِلَ وَسُمَّ، وَقَالَ عُمَيْرٌ لِصَفْوَانَ: اكْتُمْنِي أَيَّاماً، فَأَقْبَلَ عُمَيْرٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ بِبَابِ الْمَسْجِدِ وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ وَأَخَذَ السَّيْفَ، فَعَمَدَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَيَذْكُرُونَ نِعْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ مَعَهُ السَّيْفُ فَزِعَ، وَقَالَ: عِنْدَكُمُ، الْكَلْبُ هَذَا عَدُوُّ اللهِ الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ، ثُمَّ

قَامَ عُمَرُ فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَذَا عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ مُتَقَلِّداً السَّيْفَ، وَهُوَ الْفَاجِرُ الْغَادِرُ يَا نَبِيَّ اللهِ، لَا تَأْمَنْهُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَدْخِلْهُ عَلَيَّ**، فَخَرَجَ عُمَرُ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَحْتَرِسُوا مِنْ عُمَيْرٍ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ وَعُمَيْرٌ حَتَّى دَخَلَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ عُمَيْرٍ سَيْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعُمَرَ: **تَأَخَّرْ عَنْهُ**، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ عُمَيْرٌ قَالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا - وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ عَنْ تَحِيَّتِكَ، وَجَعَلَ تَحِيَّتَنَا تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهِيَ السَّلَامُ**، فَقَالَ عُمَيْرٌ: إِنَّ عَهْدَكَ بِهَا لَحَدِيثٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **قَدْ أَبْدَلَنَا اللهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَمَا أَقْدَمَكَ يَا عُمَيْرُ؟** قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى أَسِيرٍ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَفَادُونَا فِي أُسَرَائِنَا، فَإِنَّكُمُ الْعَشِيرَةُ وَالْأَهْلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟** قَالَ عُمَيْرٌ: قَبَّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ، فَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئاً؟ إِنَّمَا نَسِيتُهُ فِي عُنُقِي حِينَ نَزَلْتُ، وَلَعَمْرِي إِنَّ لِي بِهَا عِبْرَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **اصْدُقْنِي مَا أَقْدَمَكَ؟** قَالَ: مَا قَدِمْتُ إِلَّا فِي أَسِيرِي، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **فَمَاذَا شَرَطْتَ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ؟** فَفَزِعَ عُمَيْرٌ وَقَالَ: مَاذَا شَرَطْتُ لَهُ؟ قَالَ: **تَحَمَّلْتَ لَهُ بِقَتْلِي عَلَى أَنْ يَعُولَ بَنِيكَ وَيَقْضِي دَيْنَكَ، وَاللهُ تَعَالَى حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ**، قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، كُنَّا يَا رَسُولَ اللهِ نُكَذِّبُكَ بِالْوَحْيِ وَبِمَا يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ

وكلام العباس في ماله[1]،..............................

بَيْنِي وَبَيْنَ صَفْوَانَ فِي الْحِجْرِ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرَهُ، فَأَخْبَرَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، فَآمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي سَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ" الحديث.

ينظر: الجواب الصحيح ٦ / ١٤٩ – ١٥١.

(١) روى الإمام أحمد (٣٣١٠)، عن ابن عباس قال: كَانَ الَّذِي أَسَرَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو الْيَسَرِ بْنُ عَمْرٍو، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**كَيْفَ أَسَرْتَهُ يَا أَبَا الْيَسَرِ؟**» قَالَ: لَقَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، وَلَا قَبْلُ، هَيْئَتُهُ كَذَا، هَيْئَتُهُ كَذَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ**»، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ: «**يَا عَبَّاسُ، افْدِ نَفْسَكَ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ**» أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، قَالَ: فَأَبَى، وَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي، قَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقًّا، فَاللهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، فَافْدِ نَفْسَكَ**»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عِشْرِينَ أُوقِيَّةَ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، احْسُبْهَا لِي مِنْ فِدَايَ، قَالَ: «**لَا، ذَاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَاهُ اللهُ مِنْكَ**». قَالَ: فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ، قَالَ: « **فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ، حَيْثُ خَرَجْتَ، عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ، وَلَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ غَيْرَكُمَا، فَقُلْتَ: إِنْ أُصِبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَلِلْفَضْلِ، كَذَا وَلِقُثَمَ كَذَا، وَلِعَبْدِ اللهِ كَذَا؟** ». قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ

وزيد، وجعفر، وابن رواحة[1].

مِنَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرُهَا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِّ. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦/ ٨٦): "فِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمَّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ".

(١) روى البخاري (٤٢٦٢): عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابنَ رَوَاحَةَ للنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يأتِيَهمْ خَبرُهُمْ، فقال: " **أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ -، حتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِّ، حتَّى فَتَحَ اللهُّ عَلَيْهِمْ** ".

فَصْلٌ

وآياتُه المتعلِّقةُ بالقدرة أنواعٌ:

الأوَّلُ: ما في العالم العلويِّ؛ كانشقاق القمر[1]، و[حراسة][2] السماء بالشُّهب[3]، وقد ذكر انشقاق القمر، وبيّن أن الله فَعَله، وأخبر به لحكمتين:

---

(١) قال الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ سورة القمر:١-٣.

وروى البخاري (٣٦٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٨٠٠): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اشْهَدُوا».

ونص غير واحد من أهل العلم على تواتر الأحاديث بانشقاق القمر، انظر: "الجواب الصحيح" (١/ ٤٢٥-٤٢٤)، و"نظم المتناثر في الحديث المتواتر" للكتاني (٢١٢-٢١١).

(٢) في المخطوط: (حراس)، فأثبته من الأصل.

(٣) قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أحدهما: كونه من آيات النبوَّة.

وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصافات: ١-١٠].

وروى البخاري (٧٧٣) واللفظ له، ومسلم (٤٤٩): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: " انْطَلَقَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجن: ١-٢] ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الجن: ١]، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ ".

والثانية: أنه دليلٌ على ما أخبرتْ به الأنبياء، من انشقاق السماوات، وجعل الآية فيه دون الشمس والنجوم؛ لأنه أقرب إلى الأرض، وكان فيه دون سائر أجزاء الفَلَك، إذ هو الجسم [المستدير][1] الذي يظهر فيه الانشقاق لكلِّ مَن يراه، ظهوراً لا يمارى[2] فيه، وأنه إذا قبِلَ الانشقاق، فقبولُ محلِّه أولى، وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى فوق السماوات، وهذا كما تواتر، وأخبر القرآن بمسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وفي موضع آخر بصعوده إلى السماوات، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[3] الآية.

فأخبر - هنا - بمسراه ليلاً [بين][4] المسجدين، وأخبر أنه فعل ذلك ليُريه آياتٍ لم يرها عموم الناس، كما قال في السورة

---

(١) في الأصل: (المستنير).

(٢) في الأصل: (يتمارى).

(٣) سورة الإسراء: ١.

(٤) في المخطوط: (من)، ما أثبته من الأصل.

الأخرى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[1] الآيات.

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[2]، **"هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ"**[3]، فكان في إخباره بالمسرى -لِيُريه من آياته- بيان أنه رأى من آياته ما لم يره الناس، وقد بيّن ذلك في السورة الأخرى، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا

---

(١) قال تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة النجم: ١٢ – ١٨.

(٢) سورة الإسراء: ٦٠.

(٣) البخاري (٣٨٨٨)، (٤٧١٦)، وليس عند مسلم. انظر: "الجمع بين الصحيحين" للحميدي (٢/ ١٠٢)، و"تحفة الأشراف" للمزي (٥/ ١٥٥/ ٦١٦٧).

يَغۡشَىٰ ﴾[1]، وأنه رأى بالبصر آيات ربِّه الكبرى، وذكر في تلك السورة المسرى؛ لأنه أمكنه أن يقيم عليه دليلاً.

فإنهم لَمَّا كذَّبوه سألوه عن نعته، فنعته لهم، لم يخرِم من النعت شيئاً[2]، ....

---

(١) سورة النجم: ١٥ – ١٦.

(٢) روى البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠): عن جابر بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

وروى أحمد (٢٨١٩)، والنسائي في "الكبرى" (١١٢٢١)، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي، ثُمَّ أَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ**»، قَالَ: «**فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ**»، قَالَ: «**فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، فَمَرَّ بِي عَدُوُّ الله أَبُو جَهْلٍ**» فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «**إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «**إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: فَلَمْ يُرِهِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا لَهُ قَوْمَهُ، قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ إِلَيْكَ قَوْمَكَ أَتُحَدِّثُهُمْ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، هَلُمَّ،

وأخبر خبر عِيرِهِم[1]، فظهر لهم صدقُه، وفيه آيةٌ على صدقِهِ فيما غاب عنهم، وكان قطع المسافة – البعيدة- في الزمن اليسير،

فَتَنَفَّضَتِ الْمَجَالِسُ، فَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ مَا حَدَّثْتَنِي، قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ** »، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «**إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: « **نَعَمْ** »، فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُسْتَعْجِبًا لِلْكَذِبِ، قَالَ: وَفِي الْقَوْمِ مَنْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، قَالَ: قَالُوا: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ لَهُمْ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ**» قَالَ: «**فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ حَتَّى وُضِعَ**» قَالَ: «**فَنَعَتُّ الْمَسْجِدَ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»، قَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَقَدْ أَصَابَ. ورجال إسناده رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في "المجمع" (١/ ٦٥). وذكره الحافظُ ابنُ حجر في "الفتح" (٧/ ١٩٩) وقال: "بإسناد حسن". وصححه الألباني في "الإسراء والمعراج" (ص٨٢)، وفي "الصحيحة" (٣٠٢١).

(١) روى أحمد (٣٥٤٦)، والنسائي (١١٢١٩): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ، وَبِعَلَامَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبِعِيرِهِمْ، فَقَالَ نَاسٌ: نَحْنُ نُصَدِّقُ مُحَمَّداً بِمَا يَقُولُ؟ فَارْتَدُّوا كُفَّاراً، فَضَرَبَ اللهُ أَعْنَاقَهُمْ مَعَ أَبِي جَهْلٍ. الحديث. وصحح إسناده ابن كثير في "التفسير" (٥/ ٢٨)، وقال الهيثمي

لأجل ما أَراهُ مِمَّا يختصُّ بالأنبياء. وبها يتميَّز عمن يقطع المسافة كرامةً لوليٍّ، أو بتسخير الجنِّ، كما في قصَّة بلقيس[1]، فإن قَطْع الجسم الثقيل للمسافات البعيدة، كان لِما أُوتيه سليمان من المُلك، كتسخير الريح تجري بأمره والشياطين، وهذا التسخير ملكي[2].

وذلك لأجل ما أراه من الآيات التي ميّزه بها على سائر النبيين، فكان ذلك: ﴿فِتۡنَةً﴾: أي محنةً وابتلاءً للناس، يتبيّن مَن يؤمن به ممَّن يكذِّبُه، وأحاديثُ المعراج وصعوده إلى ما فوق

في "المجمع" (١/ ٦٧): "رِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ هِلَالَ بْنَ خَبَّابٍ قَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ: إِنَّهُ تَغَيَّرَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: لَمْ يَتَغَيَّرْ وَلَمْ يَخْتَلِطْ، ثِقَةٌ مَأْمُونٌ". وحسن إسناده الألباني في "الإسراء والمعراج" (ص٧٧).

(١) كما قصه الله تعالى من خبرها مع سليمان -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾ سورة النمل:٣٩- ٤٠.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ سورة ص: ٣٩- ٤٠.

السماوات، وفرض الصلوات، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة، والنار، والملائكة، والأنبياء، والبيت المعمور، وسدرة المنتهى، وغير ذلك، معروفٌ متواترٌ، وهذا لم يكن لغيره من الأنبياء، يظهر به تحقيقُ قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، فالدرجاتُ لمحمد- صلى الله عليه وسلم- ليلة المعراج، وسيرْفَعُها له في الآخرة في المقام المحمود، الذي ليس لغيره مثلُه.

[ما جاء في الرد على من أنكر صعود الآدمي ببدنه إلى السماء]

وصعود الآدمي ببدنه إلى السماء، قد ثبت في أمر المسيح[2]، والنصارى يوافقون على هذا، ويقولون: سوف ينزل؛ لكن

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ سورة آل عمران:٥٥. وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ سورة

كثيراً منهم يقولون: صعد بعد أن صُلب، وقام من القبر. وكثيرٌ من اليهود يقولون: صُلب، ولم يقم من قبره. وكثيرٌ من النصارى يقولون: إن نزوله يوم القيامة، وكذلك إدريس صعد الى السماء، ومن أنكره من المتفلسفة، فعمدتُه شيئان:

أحدهما: أن الجسم الثقيل لا يصعد، وهذا في غاية الضعف؛ فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء، ممَّا تواترت به الأخبارُ في أمور متعدِّدة، مثل عرش بلقيس، وحمل الريح لسليمان وعسكره، ومثل قُرى قوم لوط، ومثل المسرى إلى بيت المقدس الذي ظهر صدقُ الرسول بخبره.

ورجالٌ كثيرٌ في زماننا وغير زماننا يُحمَلون من مكان إلى مكان في الهواء، وهذا ممَّا تواتر عندنا، وعند مَن يعرفه.

وأيضاً النار والهواء الخفيف يُحرَّك حركة قسرية فيهبط، والتراب والماء الثقيلان، يُحرَّكان حركة قسرية فيصعد.

النساء:١٥٧-١٥٩.

والشبهة الثانية: ظن بعضهم، كأرسطو، أن الأفلاك لا تقبل الانشقاق، وحجَّتُهم في غاية الضعف، قالوا: لو قبلت الانشقاق، لكان المحرِّك للأفلاك يحرِّك حركة مستقيمة، وهي تحتاج إلى خلاء خارج العالم. ولا خلاء هناك. وهذه فاسدةٌ من وجوه[1].

[ما جاء في آيات النبي ﷺ في الجهاد ومن له حياة]

ثم ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى-:

آيات الجوِّ، كاستسقائه، واستصحائه[2]، ....

(١) انظر: "الجواب الصحيح" (٦/ ١٨٢-١٨١).

(٢) روى البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَجُلاً، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِماً، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَّ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**" قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللهَّ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ

ونصر الله له بالريح[1].

انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **"اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ** " قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ. قَالَ شَرِيكٌ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ؟ فَقَالَ: «مَا أَدْرِي».

ورواه أيضًا البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) عنه بمعناه، وفيه: قال أنس: فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ المَدِينَةُ مِثْلَ الجَوْبَةِ، وَسَالَ الوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ.

(١) روى البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**».

وعَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٩] قَالَ: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ. قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَقَدْ حُصِرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَهْرًا، فَخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ بِقُرَيْشٍ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى نَزَلُوا بِعَقْوَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَقْبَلَ عُيَيْنَةُ

ثم ذكر تصرُّفه في الحيوان: الإنس، والجن، والبهائم.

ثم ذكر: حديث الجمل[1]، ....

بْنُ حِصْنٍ أَحَدُ بَنِي بَدْرٍ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى نَزَلُوا بِعَقْوَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَاتَبَتِ الْيَهُودُ أَبَا سُفْيَانَ وَظَاهَرُوهُ، فَقَالَ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرُّعْبَ وَالرِّيحَ، فَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا أَطْفَأَهَا اللهُ، حَتَّى لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سَيِّدَ كُلِّ حَيٍّ يَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ، هَلُمَّ إِلَيَّ. حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ فَقَالَ: النَّجَاءَ، النَّجَاءَ أُتِيتُمْ ! لِمَا بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الرُّعْبِ ".

قَالَ مجاهد: رِيحُ الصَّبَا، أُرْسِلَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، حَتَّى كَفَّأَتْ قُدُورَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهَا، وَنَزَعَتْ فَسَاطِيطَهُمْ، حَتَّى أَظْعَنَتْهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾. قَالَ: الْمَلَائِكَةُ، وَلَمْ تُقَاتِلْ يَوْمَئِذٍ".

ينظر: "تفسير الطبري" (١٩/ ٢٨-هجر).

(١) روى أحمد (١٧٥٤)، وأبو داود (٢٥٤٩)، وأبو عوانة في "المستخرج على مسلم" (٤٩٧)، والحاكم (٢/ ١٠٩) وصححه ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن جعفر قال: أَرْدَفَنِي رسولُ الله ﷺ خَلْفَهُ ذاتَ يومٍ؛ فأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: " مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟ " فَجَاءَ فَتًى مِنَ

وحديث ابن البدوية، وفيه: "اخْسَأْ عَدُوَّ اللهِ، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ"[(١)]، ....

الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: " أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ ".

(١) روى عبد بن حميد (١٠٥١-المنتخب)، والدارمي (١٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٢١)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦/ ١٩-١٨): عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَا يَأْتِي الْبَرَازَ حَتَّى يَتَغَيَّبَ، فَلَا يُرَى، فَنَزَلْنَا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ فِيهَا شَجَرَةٌ وَلَا عَلَمٌ، فَقَالَ: " يَا جَابِرُ ، **انْطَلِقْ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَقُلْ لَهَا: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَقِي بِصَاحِبَتِكَ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا** " فَرَجَعَتْ إِلَيْهَا، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَلْفَهُمَا، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَى مَكَانِهِمَا، فَرَكِبْنَا وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَنَا كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ تُظِلُّنَا، فَعَرَضَتْ لَنَا امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا يَأْخُذُهُ الشَّيْطَانُ كُلَّ يَوْمٍ مِرَارًا، فَوَقَفَ بِهَا، ثُمَّ تَنَاوَلَ الصَّبِيَّ فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُقَدَّمِ الرَّحْلِ، ثُمَّ قَالَ: «**اخْسَأْ عَدُوَّ اللهِ ، أَنَا رَسُولُ اللهِ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيْهَا؛ فَلَمَّا قَضَيْنَا سَفَرَنَا مَرَرْنَا بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَعَرَضَتْ لَنَا الْمَرْأَةُ مَعَهَا صَبِيُّهَا، وَمَعَهَا كَبْشَانِ تَسُوقُهُمَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْبَلْ مِنِّي هَدِيَّتِي، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عَادَ إِلَيْهِ بَعْدُ، فَقَالَ: «**خُذُوا مِنْهَا أَحَدَهُمَا، وَرُدُّوا عَلَيْهَا الْآخَرَ**». الحديث.

وحديث عَيْنَي عليٍّ[1]، وعَيْن قتادة[2]، وأحاديث كثيرة.[3]

(١) روى البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦): عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ**»، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيٌّ؟**» ، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**».

(٢) روى أبو عوانة في "مستخرجه" (٦٩٢٩)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٣/ ٢٥٢-٢٥١)، وأبو القاسم التيمي في "دلائل النبوة" (١٢٦)، من طريق عَاصِم بْن عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، أَوْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَسَالَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوهَا، ثُمَّ قَالُوا: نَأْتِي رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَسْتَشِيرُهُ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا، ثُمَّ غَمَزَهَا بِرَاحَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَكْسِبْهُ جَمَالاً**»، قَالَ: فَمَا يَدْرِي مَنْ لَقِيَهُ أَيَّ عَيْنَيْهِ أُصِيبَتْ.

(٣) ينظر: الجواب الصحيح ٦/ ٢٠٤-٢٠٨.

[ما جاء في أثر النبي ﷺ في الجمادات]

ثم ذكر: آثارَه في الأشجار والخشب، فذكر حديث الجذع[1] وحديث الشجرتين اللتين استتر بهما لحاجته في صحيح مسلم[2]، ....

(١) روى البخاري (٣٥٨٥): عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: «كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفاً عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَنَتْ».

(٢) حديث (٣٠١٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولفظه: "سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «الْتَئِمَا

وذكر أحاديثَ[1].

ثم ذكر آثاره في الطعام والثمار الذي كان تكثر ثمرته فوق العادة.

قال: وهذا بابٌ واسع، فنذكر ما تيسَّر، ثم ذكر أحاديث كثيرة[2].

ثم ذكر تأثيره في الأحجار، وذكر أحاديث، منها ضربه جبل أحد برجله[3]، ....

عَلَيَّ بِإِذْنِ الله» فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ". الحديث.

(١) ينظر: الجواب الصحيح ٦/ ٢١١-٢١٤.

(٢) ينظر: الجواب الصحيح ٦/ ٢١٥-٢٥٤.

(٣) روى البخاري (٣٦٨٦): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، قَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ**».

وقبضته التراب التي رمى بها في وجوه الكفار[1]، ....

---

(١) روى مسلم (١٧٧٥): عن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فذكر الحديث، إلى أن قال: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَالله، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا.

وروى مسلم -أيضاً- (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- حديثه في غزوة حنين، وفيه: فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

ثم ذكر تأييد الله له بالملائكة، فذكر أحاديث بدر[1]، ....

(١) روى مسلم (١٧٦٣): عن أبي زميل الحنفي، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**» ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: «**صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**». الحديث.

وغيرها[1]، وحديث ملك الجبال[2].

(١) روى البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦): عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ».

وروى البخاري (٤١١٧)، ومسلم (١٧٦٩): عن عائشة لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ.

(٢) روى البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥): عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ: " **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ**

ثم ذكر كفاية الله له أعداءه، وعصمته، قال: وهذا فيه آيةٌ لنبوَّته من وجوه:

منها تصديقُ قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[1]، وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2] الآية، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3]، فهذا خبرٌ عامٌّ، وكلُّ هذه الأخبار الثلاثة العامَّة قد وقع كما أخبر، فكفاه أعداءه بأمور خارجة عن العادة، ونصره مع كثرة أعدائه وقُوَّتهم، مع أنه وحده جاهراً بمعاداتهم، وسبِّ آلهتهم، وهذا من الأمور الخارقة.

والمستهزئون من عظماء قريش، وقريشٌ أهل الحرم، أعزُّ الناس وأشرفُهم، تُعظِّمُهم جميعُ الأمم.

أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً".

(١) سورة الحجر: ٩٥.

(٢) سورة البقرة: ١٣٧.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

أمَّا العربُ فكانوا يدينون لهم، وأما غيرُهم فيعظِّمونهم به، لاسيما بعد الفيل، كما كانت الأممُ تعظِّم بني إسرائيل؛ لما فيها من الآيات.

هؤلاءُ بنو إسماعيل، وهؤلاءُ بنو إسحاق، وكلاهما ممَّا وعد الله تعالى إبراهيم في التوراة عنهم بما وعده من إنعام الله عليه، بما لم يُنعم على غيرهم، فكان أهلُ مكَّة معظَّمين؛ لأنهم جيرانُ البيت، ولأنهم أشرف بني إسماعيل، فعادوه أشرافُهم، كما عادى المسيحَ أشرافُ بني اسرائيل، وبدَّل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفراً، وأحلُّوا قومهم دار البوار، وكفى الله رسولَه والمسيحَ إياهم، ولم ينفعهم نسبُهم ولا فضلُ مدينتهم، فإن الله تعالى إنما يثيب بالإيمان [والتقوى][1]، لا بالبلد والنسب.

---

(١) في المخطوط: (بالتقوى)، ما أثبته من الأصل.

ثم ذكر أحاديث كثيرة: منها قصَّة أبي جهل في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾[1][2]، وقصَّة سُراقة بن مالك[3]، ويدخل في هذا ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه،

---

(١) سورة العلق: ٩ – ١٠.

(٢) روى مسلم (٢٧٩٧): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: قال الراوي: لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ -: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ [العلق: ٧-١٣]- يَعْنِي: أَبَا جَهْلٍ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: ١٤-١٩].

(٣) روى البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٠٠٩): عن البراء بن عازب –

من انتقام الله ممن يسبُّه ويذمُّه، ويذمُّ دينه، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطولُ وصفُه، مما يبيِّن كلاءة[1] الله لعرضه، وما من طائفة إلا وعندهم من هذا ما فيه عبرة.

ثم ذكر إجابة دعائه، إلى أن قال: لأن الله تعالى جعل بين الملائكة والشياطين، وبين الأنبياء و[المتشبِّهين][2] بهم، من الكذَّابين من الفَرْق ما لا يحصيه غيره، بل جعل بين الأبرار والفُجّار من الفَرق أعظمَ ممَّا بين الليل والنهار، ولأن ما يأتي به الأنبياءُ من الأخبار والأوامر مُخالفٌ من كلِّ وجه، لما يأتي به

رضي الله عنها- في حديث الهجرة الطويل، قال: قال أبو بكر -رضي الله عنه-: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أُتِينَا، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا». فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أُرَى فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ فَدَعَا اللهَ، فَنَجَا، فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَداً إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَداً إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا. الحديث.

(١) بمعنى: الحفظ.

(٢) في المخطوط: (المستهزئين)، ما أثبته من الأصل.

الشياطين، ومن استقرأ أحوال الرسل وأتباعهم، وحال الكهنة والسحرة، تبيَّن له ما يحقِّق ذلك.

والشيطان الذي يقول لمن ليس بنبيٍّ: " أنك نبيٌّ "، يكون من أعظم الناس كذبًا، والكذبُ مستلزم[1] الفجور، فلابُدَّ أن يأمره بإثم، ويخبره بكذب، كما هو الواقع، ممن تُضلُّه الشياطينُ من جَهَلة العُبَّاد، وممن يُزيَّن له أنه نبيٌّ، أو أنه المهديُّ، تحقيقًا لقوله: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾[2] الآيتين، ومن يأتيه صادقٌ وكاذبٌ، مثل ابن صيَّاد[3]، وكثيرٌ من العُبَّاد الذين

---

(١) في الأصل: (يستلزم).

(٢) قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ سورة الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢.

(٣) وهو عبد الله بن صيَّاد، ولقبه صاف، كان أبوه من اليهود، ولا يدرى من أيِّ قبيلة هو، ولد على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وهو الّذي يقال: إنه الدجال، حتى كان جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- يحلف أنه هو، وتوقف النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- في أمره، حتى تبيَّن له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهَّان.

ينظر: "تهذيب الأسماء واللغات" للنووي (٢/ ٢٩٩)، و"مجموع فتاوى"

لهم إلهامٌ من المَلك، ووسواسٌ من الشيطان، فمثل هذا إذا أخبره الشيطان بأنه نبيٌّ، فلابد أن يتبيَّن له كذبُه، ولو ببعض الوجوه، مثل أن يخبره بكذب، أو يخبره الصادق أن هذا كذب، إذ إخباره بأنه نبيٌّ وهو ليس كذلك، يهلكه هلاكاً عظيماً، ويفسد على الصادق جميع ما يأتيه به، فلا يكون مثل ابن صياد ونحوه، ممن يعرف أنه يأتيه صادق وكاذب، ولهذا كان كلُّ من يأتيه إخبارُ ملك صادق، وإخبارُ شيطان كاذب، فلابد أن يعرفه، لأنه [تبيَّن][1] له الكذب، كما هو الواقع.

ولهذا يوجد الكهَّان الذين يعرفون [كذب][2] من يخبرهم كثيراً، وكذلك العُبَّاد الذين لهم مخاطباتٌ ومكاشفاتٌ، بعضُها شيطانيٌّ، وبعضُها مَلَكِيٌّ، فلا يصير[3] على اعتقاد أن من يأتيه

ابن تيمية (١١/ ٢٨٣)، و"فتح الباري" (١٣/ ٣٢٨-٣٢٥)، و"الإصابة في تمييز الصحابة" (٥/ ١٤٩-١٤٨)، كلاهما لابن حجر.

(١) في المخطوط: (بين)، فأثبت ما في الأصل.

(٢) في المخطوط: (الكذب)، فأثبت ما في الأصل.

(٣) في الأصل: (يُصِرُّ).

صادق، وهو في نفس الأمر كاذب، ولا يعلم أنه كاذب، إلَّا من هو أفَّاكٌ أثيمٌ، والله - تعالى - يقول: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾[1] الآيتين.

أمَّا نزولُ الشيطان مرَّةً أو مرَّتين، فقد يكون على من ليس بأفَّاك أثيم.

ثم ذكر أحاديث كثيرة في إجابة دعائه، مثل دعائه لعبدالرحمن[2]، وأنس[3] ....

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٢.

(٢) روى أحمد (١٣٨٦٣)، والبخاري (٥١٥٥)، ومسلم (١٤٢٧): عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَى عَلَى عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ، قَالَ: «**مَا هَذَا؟**» قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «**بَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**». وزاد أحمد: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «**فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً**».

(٣) روى البخاري (١٩٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤٨١): عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، دَخَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «**أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ**» ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ

وابن عبَّاس[1]، وغيرهم، ودعائه على مَن أكل بشماله[2].

وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «مَا هِيَ؟»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ**»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ. وفي رواية لمسلم: قال أنس: دَعَا لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الْآخِرَةِ.

(١) روى البخاري (١٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧٧): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ.

وفي رواية للبخاري (٧٥)، قال: قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ**».

(٢) روى مسلم (٢٠٢١): عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

من ذلك دعاؤه لعامر بن الأكوع وأم أبي هريرة ولجمل جابر رضي الله عنهم، وغيرهم. ينظر: الجواب الصحيح ٦/ ٣٠٣-٣٢٠.

[ما جاء في أنواع طرق إثبات الأخبار]

فَصْلٌ

في الطرق التي يتبيَّن بها أن هذه الأخبار تفيد العلم:

هذه الأخبار منها ما هو في القرآن. ومنها ما هو متواتر، كنبع الماء من بين أصابعه[1]، وحنين الجذع[2]، وتكثير الطعام[3]، فما من طبقة من طبقات الأمَّة إلَّا وهذه منقولةٌ عندهم، ....

---

(١) من ذلك ما رواه البخاري (٣٥٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٢٧٩): عَنْ قتادة، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِنَاءٍ، وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلاَثَ مِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلاَثِ مِائَةٍ.

(٢) روى البخاري (٣٥٨٣): عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، فَحَنَّ الجِذْعُ، فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ". وهو في الصحيحين عن جابر أيضاً.

(٣) روى البخاري (٣٥٧٨) واللفظ له، ومسلم (٢٠٤٠): عن أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ – رضي الله عنه- قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلاَثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا ".

ينقلها أكثرُ ممَّا ينقل كثير من القرآن، وتواترُها أعظمُ من تواتر سجود السهو، فإنه إنما كان مرَّات قليلة، ولا يحضره إلَّا المصلُّون خلفه لتلك الصلاة، وكذلك نقلُهم لِنُصُب الزكاة، فإنه إنما سمعه منه طائفة قليلة، وكذلك حُكمه بالشُّفعة فيما لم يُقْسَم، وأن ديّة الخطأ على العاقلة، وأن الولد للفراش، ونهيه عن نكاح الشِّغار، وتحريمه لطلاق الحائض، والموطوءة قبل أن يتبيَّن حملُها، وأن المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار، وتوريث الجدَّة السدس، ونهيُه أن تنكح المرأة على عمَّتها وخالتها، وقوله: ((**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ، وَمَا سَقَتِ الدَّوَالِي وَالنَّوَاضِحُ نِصْفُ الْعُشْرِ**))[1]، ونحو ذلك، إنما سمعها طائفة من الأمة، هم أقلُّ بكثير ممن شاهد آياته.

---

(١) رواه الطوسي في "مختصر الأحكام" (٣/ ٢٢٩-٢٣٠برقم ٥٨٩)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، بلفظ قريب منه. ورواه أحمد (٢٢٠٣٧)، والنسائي (٢٤٩٠) عن معاذ -رضي الله عنه- بمعناه، ولفظ النسائي: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْيَمَنِ، فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِمَّا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرَ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالدَّوَالِي نِصْفَ الْعُشْرِ». وروى البخاري

[إلى أن قال]: والأخبار قد تستفيض وتتواتر عند قوم دون قوم، بحسَب طلبهم لها، وعلمهم بمن أخبر بها، وما دلّ من الدلائل على صدقهم، وأهلُ العلم بحديث النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - لهم من العلم بهذا ما ليس عند غيرهم، كما أنَّ أصحاب مالك والشافعي وغيرهما عند كلِّ طائفة من أقوال متبوعهم وأخباره ما يقطعون به، وإن كان غيرهم لا يعرفه.

والأطبَّاء عندهم من كلام أبقراط وأمثاله كذلك.

وأهلُ العلم بأيَّام الإسلام يعلمون من سيرة الخلفاء، ومغازيهم، كوقعة أجنادين، ومَرْج الصُّفر، وغيرهما في خلافة أبي بكر، واليرموك، وحرب الفرس ومصر في خلافة عمر، ما يقطعون به، وإن كان غيرُهم لا يعرفه.

(١٤٨٣): عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، قال: «**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ**».

وكذلك ما بعد هؤلاء من سير الملوك، وحوادث الوجود، بل أهل العلم بالرجال يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ما لا يعلمه غيرُهم.

والنُّحاة يعلمون من حال سيبويه وأمثاله، ما لا يعلمه غيرهم.

فكيف بمَن هو عند أتباعه أعلى قدراً من كلِّ عالم، وأرفعُ منزلة من كل مَلِك، وهم أرغبُ الخلق في معرفة أحواله، وأعظمُ تحرّياً للصدق فيها، ولردِّ الكذب منها، حتى صنَّفوا الكتب الكثيرة في أخبار جميع من روى شيئاً من أخباره، وذكروا من الجرح والتعديل، ودقَّقوا في ذلك، وبالغوا مبالغةً [لا][1] يوجد مثلُها لأحدٍ من الأمم، ولا لأحدٍ من هذه الأمة، إلَّا لأهل الحديث، وميَّزوا المنقولات من الصدق والكذب، فيردُّون الكذب، وإن كان فيه من فضائل نبيِّهم - صلى الله عليه وسلم - وأعلام نبوَّته، وفضائلِ أصحابه - رضي الله

(١) في المخطوط: (ما)، فأثبت ما في الأصل.

عنهم – وأمَّتِه، ما هو عظيمٌ، ويقبلون الصدق، وإن كان فيه شُبهةٌ يحتج بها المنازع، قال ابنُ مهدي[١]: ((أهلُ العلم يثبتون ما لهم وعليهم، وأهلُ الأهواء ما يثبتون إلَّا ما لهم))[٢].

فإذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم جازمين به لا يكون إلَّا صدقاً، فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق أولى، وعامَّةُ أخبار الصحيحين مما اتفق أهلُ الحديث

---

(١) هو عبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيِّ بنِ حَسَّانِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العَنْبَرِيُّ، الإِمَامُ، النَّاقِدُ، الُمجَوِّدُ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ، أَبُو سَعِيْدٍ العَنْبَرِيُّ - وَقِيْلَ: الأَزْدِيُّ - مَوْلاَهُمْ، البَصْرِيُّ، اللُّؤْلُؤِيُّ. وَكَانَ إِمَاماً، حُجَّةً، قُدوَةً فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ. قَالَ الخَلِيْلِيُّ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: لاَ أَعْرِفُ لَهُ نَظِيْراً فِي هَذَا الشَّأْنِ. وُلِدَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ. وقَالَ عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ: كَانَ عِلْمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي الحَدِيْثِ كَالسِّحرِ. تُوُفِّيَ ابْنُ مَهْدِيٍّ بِالبَصْرَةِ، فِي جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِيْنَ وَمائَةٍ. من "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٩/ ٢٠٦-١٩٢).

(٢) لم أجده مسنداً، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عن عبدالرحمن بن مهدي –رحمه الله– أيضاً في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٨٥) و"منهاج السنة النبوية" (٧/ ٣٧).

على التصديق بها، وجزموا بذلك[١]، وعامَّة ما ذكرنا من آياته التي في الصحاح، هي من موارد إجماعهم، فهذا طريق سلكه من عرفه من العلماء، فهذان[٢] طريقان في تصديق هذه الآثار: التواتر العامُّ، والتواتر الخاصُّ.

الطريق الثالث: التواتر المعنويُّ، وهذا ممَّا اتفق عليه عامَّة الطوائف، فإن الناس يسمعون أخباراً متفرِّقة، تتضمَّن شجاعة عمرو بن معد يكرب[٣]، ....

(١) انظر: "النكت على ابن الصلاح" لابن حجر (١/ ٣٥٥-٣٤٨).

(٢) في الأصل: (فهذه).

(٣) هو عمرو بن معد يكرب بن عبد اللهّ بن عمرو بن عصم بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه، بن صعب بن سعد العشيرة الزبيدي الشاعر الفارس المشهور. يكنى أبا ثور. قال ابن ماكولا: له صحبة ورواية. وقال أبو نعيم: له الوقائع المذكورة في الجاهلية، وله في الإسلام بالقادسية بلاء حسن. ويروى أن عمر -رضي الله عنه- كتب إلى سعد: إني أمددتك بألفي رجل: عمرو بن معديكرب، وطليحة بن خويلد. توفي في خلافة عمر، وقيل: في خلافة عثمان، وقيل: بعدها. اهـ "الإصابة" (٤/ ٥٦٨-٥٧٣).

وخالد بن الوليد وأمثالهما، وسخى[1] حاتم ومعن[2] وأمثالهما، وحلم الأحنف[3] ومعاوية وأمثالهما، فيحصل علم ضروريٌّ

---

(١) في الأصل: (سخاء).

(٢) هو مَعْنُ بنُ زَائِدَةَ أبو الوليْد الشَّيْبانِيُّ أمير العرب، أبو الوليد الشَّيْبانِيُّ، أَحَدُ أَبْطَالِ الإِسْلام، وعينُ الأَجْوَاد.

كَانَ مِنْ أُمَرَاءِ مُتَولِّي العِرَاقَيْنِ يَزِيْدَ بنِ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ. ثم ولي اليمن للمنصور العباسي، قال الذهبي: وَلِمَعْنٍ أَخْبَارٌ فِي السَّخَاءِ، وَفِي البَأْسِ، وَالشَّجَاعَةِ. قتلته الخوارج سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. وَقِيْلَ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ. سير أعلام النبلاء ٧/ ٩٧-٩٨.

(٣) هو الأَحْنَفُ بنُ قَيْسِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ حُصَيْنٍ التَّمِيْمِيُّ، الأَمِيْرُ الكَبِيْرُ، العَالِمُ النَّبِيْلُ، أَبُو بَحْرٍ التَّمِيْمِيُّ، أَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ وَسُؤْدُدِهِ المَثَلُ. اسْمُهُ: ضَحَّاكٌ، وَقِيْلَ: صَخْرٌ. وَشُهِرَ بِالأَحْنَفِ؛ لِحَنَفِ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ العَوَجُ وَالمَيْلُ.

كَانَ سَيِّدَ تَمِيْمٍ. أَسْلَمَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَوَفَدَ عَلَى عُمَرَ. قال الحَسَنُ: مَا رَأَيْتُ شَرِيْفَ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الأَحْنَفِ. وقِيْلَ: إِنَّ رَجُلًا خَاصَمَ الأَحْنَفَ، وَقَالَ: لَئِنْ قُلْتَ وَاحِدَةً، لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا.

فَقَالَ: لَكِنَّكَ إِنْ قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً. تُوُفِّيَ الأَحْنَفُ -على قول-: سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّيْنَ. وَقيل: سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِيْنَ. وَقَالَ جَمَاعَةٌ: مَاتَ فِي إِمْرَةِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ عَلَى العِرَاقِ -رَحِمَهُ اللهُ-.سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٦-٩٦.

بأن الشخص موصوفٌ بهذا، وإن كان كلُّ خبر لو تجرَّد لم يُفد العلم.

فهذه الأحاديث وأضعافُ أضعافها هي أضعافُ أضعاف ما نقل عن واحد من هؤلاء، ونَقَلتُها أجلُّ وأكبر، وعلم المسلمين بها أعظمُ من علم أهل الكتاب بآيات موسى وعيسى، فما يُذكر من حُجَّة في صحَّة نقلها، إلَّا وحجَّة المسلمين فيما ينقلون عن نبيِّهم وأصحابه أظهر وأقوى.

الطريق الرابع: أنها تكون بمحضر من الخلق الكثير، كتكثير الطعام يوم الخندق[1]، ....

---

(١) روى البخاري (٤١٠٢) واللفظ له، ومسلم (٢٠٣٩): عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِّ -رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَنْ

ونبع الماء[1]، وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية[2]، وكلُّهم صالحون، لا يُعرفُ منهم من تعمَّد كَذبة واحدة، وكان بعضُهم ينقلها قدَّام آخرين ممَّن حضرها، فيذهب أولئك فيخبرون بها

مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّ هَلًا بِهَلّكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ» . فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) روى البخاري (٣٥٧٧): عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا، حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَفِيرِ البِئْرِ، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي البِئْرِ، فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا، وَرَوَتْ -أَوْ صَدَرَتْ- رَكَائِبُنَا.

أولئك، ويصدِّقُ بعضُهم بعضاً، ويحكي مثل هذا[1] ما حكى هذا، من غير تواطئ، وأدنى أحواله أن يقرَّه ولا ينكره، ونعلم بموجب العادة الفطرية، وبما كان عليه السلفُ من تحرِّي الصدق، وشدَّة توقِّيهم الكذب على نبيِّهم، فنعلم أنهم لم يكونوا يُقرُّون من يعلمون أنه يكذب عليه، عُلم- قطعاً- أنهم متفقون على نقل ذلك، كما اتفقوا على نقل القرآن.

وممّا يبين ذلك: أن ما أنكره بعضُهم على الآخر، وإن كانوا متأخرين عن الصحابة، كتنازعهم: هل كان يجهر بالبسملة؟ أو يداوم على القنوت في الفجر؟ وهو من أهون الأمور، إذ كلُّهم متفقُّون على صحَّة صلاة من فعل أو ترك، ولكن لمّا تنازعوا في فعله، تنازعوا في الحُكم، فعُلم أنه ما كان مشهوراً في الأمة عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، ولم ينكرْه أحدٌ من علمائها، كانت الأمة متفقةً على نقله، وكذلك حجُّه، فإنهم متفقون على ما تواتر عنه، من أنه لم يحجَّ بعد الهجرة إلّا واحدةً، وأنه عاش

---

(١) في الأصل: (هذا مثل).

بعدها نحواً من ثلاثة أشهر، وأنه لَمَّا حج أمر أصحابه إلّا من ساق الهدي إذا طاف وسعى أن يحلَّ، وأنه لم يعتمر - هو ولا أحدٌ من أصحابه الذين حجُّوا معه- بعد الحج إلّا عائشة، وأنه لم يحلَّ، ولا مَن ساق الهدي معه[1]، وإنما اشتبه على بعضهم بعضُ ألفاظه، أو بعضُ الأمور التي تخفى على أكثر الناس، وكان الصحابة ينقلون تمتُّعه، ومرادهم: أنه قرنَ بين الحجِّ

---

(١) روى البخاري (١٧٥٨): عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَهَلَّ وَأَصْحَابُهُ بِالحَجِّ، وَلَيْسَ مَعَ أَحَدٍ مِنْهُمْ هَدْيٌ غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَلْحَةَ، وَكَانَ عَلِيٌّ قَدِمَ مِنَ اليَمَنِ وَمَعَهُ الهَدْيُ، فَقَالَ: أَهْلَلْتُ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً، يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ، ثُمَّ يُقَصِّرُوا وَيَحِلُّوا إِلَّا مَنْ مَعَهُ الهَدْيُ، فَقَالُوا: نَنْطَلِقُ إِلَى مِنًى وَذَكَرُ أَحَدِنَا يَقْطُرُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْلاَ أَنَّ مَعِي الهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ**»، وَأَنَّ عَائِشَةَ حَاضَتْ، فَنَسَكَتْ المَنَاسِكَ كُلَّهَا غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَطُفْ بِالْبَيْتِ، قَالَ: فَلَمَّا طَهُرَتْ وَطَافَتْ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَنْطَلِقُونَ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ وَأَنْطَلِقُ بِالحَجِّ؟ فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا إِلَى التَّنْعِيمِ، فَاعْتَمَرَتْ بَعْدَ الحَجِّ فِي ذِي الحَجَّةِ. الحديث.

والعمرة، وبعضُهم قال: أفرد الحج، فظنَّ بعضُ الناس أنه اعتمر بعد الحج، وقال بعضُهم: قرن، فظنَّ بعض الناس أنه طاف طوافَيْن وسعى سعْيَين.

ومن أسباب الغلط: أن الصحابة يستعملون تلك الألفاظ في غير المعاني التي استعملها مَن بعدهم، ومن تدبَّر هذا الطريق، أفادته علماً يقيناً بصحَّة هذه الآيات عنه، وكذلك الطرق المتقدمة، فإنَّا قد ذكرنا أن ما كان الناس إليه أحوجَ يسَّر الله دلائله أعظمَ من غيره.

الطريقة الخامسة: أن نقول: ما من صنف من العلماء إلّا وقد تواتر عندهم منها ما فيه كفايةٌ، فكُتُب التفسير متواترٌ فيها، وكذلك كتبُ الحديث، وكتب السِّير، وإن لم يكن هذا مقصوداً منها، وإنما المقصود الأحكام، ونَقْلُ كلِّ طائفة يفيد العلم اليقيني، فكيف بنقل الكل؟

وهذه الطريق وغيرها مثل طريق الإقرار والتصديق، وطريق التواتر المعنوي، وطريق تصديق أهل العلم والحديث

بها وغير ذلك، يُستدلُّ بها تارة على تواتر الجنس العام، وهذا أقلُّ ما يكون، وعلى تواتر جنسٍ جنسٍ منها، كتكثير الطعام، والطهور، وعلى نوعٍ نوعٍ، كنبع الماء من بين أصابعه، وعلى تواتر شخصٍ شخصٍ، كحنين الجذع، وكلَّما أمعن الإنسان في ذلك النظر، واعتبره بأمثاله، وأعطاه حقَّه من النظر والاستدلال، ازداد به علماً ويقيناً، وتبيَّن له أن العلم بذلك أظهرُ من جميع ما يطلبه بالأخبار المتواترة، فليس في الأنباء علمٌ مطلوب بالأخبار المتواترة إلّا والعلمُ بآيات الرسول وشرائع دينه أظهرُ من ذلك، وما من حال أحدٍ؛ من الأنبياء، والملوك، والعلماء، وأقواله وأفعاله وسيرته، إلّا والعلمُ بأحوال محمَّد صلى الله عليه وسلم أظهر، وما من علم يُعلم بالتواتر ممَّا هو موجود الآن، كالعلم بالبلاد البعيدة، إلّا وعلمُ الإنسان بحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وما هم عليه من الدين، وما ينقلونه عن نبيِّهم من آياته وشرائعه أظهرُ؛ تحقيقاً لقوله

تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1].

وظهورُه على الدين كله بالعلم والحجة والبيان، إنما هو لما يظهر[2] من آياته، وذلك إنما يتمُّ بما يُنقل عن محمد من آياته التي هي الأدلة، وشرائعه التي هي المدلولُ المقصود بالأدلة.

فهذا قد أظهره الله علماً وحجَّةً وبياناً على كل دين، كما أظهره قوَّةً ونصراً وتأييداً على كل دين، والحمد لله ربِّ العالمين، كما أنه ما من دليل يُستدلُّ به على مدلول، إلّا والأدلَّةُ على آيات الربِّ أكبر وأكبر[3].

الطريقة السادسة: أن العلماء قد صنَّفوا مصنفات كثيرةً في ذكر آياته: كدلائل النبوَّة للبيهقي، ولأبي نعيم، ولأبي الشيخ، وللطبراني، وقبلَهم لأبي زُرعة الرازي، وإبراهيم الحربي، وابن

---

(١) سورة الفتح: ٢٨.

(٢) في الأصل: (يظهره).

(٣) في الأصل: (وأكثر).

أبي الدنيا، والفريابي، وهذه الكتب فيها من الأحاديث المتضمِّنة لذلك أضعافُ أضعافُ الأحاديث المتواترة: كحجَّة الوداع، وعُمرة القضية، وغزوة مُؤتة، وتبوك، بل في كل صنف من أصناف آياته من الأحاديث أضعافُ ما يوجد في مثل ذلك، كتواتر إخباره بالغيوب المستقبلة، وتكثيره للطعام مرَّات متعدِّدة، ولهذا كانت شُهرتها في الأمَّة وفي أهل العلم أعظمُ من شهرة كثير من تلك الأمور التي هي متواترة، وهذه غيرُ البراهين المستفادة من القرآن، فإن تلك قد تجرَّد لها طوائفُ، ذكروا من أنواعها وصفاتها، حتى بيَّنوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات الألوف، وهذان غيرُ ما في كتب أهل الكتاب من الإخبار به. وهذه الثلاثة غيرُ ما في شريعته، وغيرُ صفات أمَّته، وغيرُ ما يدلُّ من المعرفة بسيرته وأخلاقه، وهذا كلُّه غيرُ نصر الله له، وإكرامه لمن آمن به، وعقوبته لمن كفر به، فإن تعداد أعيان دلائل النبوَّة لا يمكن بشراً الإحاطةُ به، إذ كان الإيمانُ به واجباً على كل أحد، فبيَّن الله - تعالى - لكلِّ قوم، بل لكلِّ شخص، ما لا يتبيَّن لآخرين.

كما أن دلائل الربوبية أعظمُ وأكثرُ من كلِّ دليل على كلِّ مدلول، ولكل قوم، بل لكلِّ [إنسان][1] من الدلائل المعيَّنة التي يُريه الله إيَّاها في نفسه، وفي الآفاق، ما لا يعرف أعيانَها قومٌ آخرون، قال الله - تعالى -: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2]. والضمير عائدٌ على القرآن عند المفسِّرين، كما دلَّ عليه قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ﴾[3] الآية، ثم قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4].

فأخبر أنه سيُري الناس في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية، ما يبيِّن لهم أن الآيات المسموعة حقٌّ، فيتطابق

---

(١) في المخطوط: (لسان)، والصحيح ما أثبتُّه من الأصل.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) سورة فصلت: ٥٢.

(٤) سورة فصلت: ٥٣.

[العقلُ][1] والسمع، ويتَّفق العيان والقرآن، وتصدِّق المعاينةُ للخبر.

(١) في المخطوط: (القول)، فأثبت ما في الأصل.

فَصْلٌ

وآياتُ النبوَّة تكون في حياة الرسول، وقبل مولده، وبعد مماته، لا تختص بحال دعوى النبوة، أو حال التحدي، كما ظنَّه بعضُ أهل الكلام، بل لابد من آياتٍ في حياته، تكون بها الحجة، كما قال- صلى الله عليه وسلم -: " مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ..."[1] إلخ، وكما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾[2] الآيات، وقال: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾[3]. فأخبر - سبحانه- أنه ضرب الأمثال لجميعهم، وأهلكهم بعد إقامة الحجة عليهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة إبراهيم: ٩ - ١٠.

(٣) سورة الفرقان: ٣٩.

وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾[1] الآية، فأخبر أنه لم يرسل إلّا رجالا يوحي إليهم، لا ملائكة، ولا نساءً، وأخبر أنه أرسلهم بالبيِّنات، والزُّبُر: جمع زَبُور، وهي: الكتب. فإنَّ منهم من أُنزل عليه كتاب، ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله، وفي الآية أخرى: ﴿ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾[2]. وهذا من عطف الخاص على العام، لاختصاصه بوصف يختص به، كقوله: ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[3].

فإن الزُّبُر من البيِّنات، والكتابُ المنيرُ من الزبر، وكقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ

---

(١) سورة النحل: ٤٣ – ٤٤.

(٢) سورة فاطر: ٢٥.

(٣) سورة البقرة: ٩٨.

مُّنِيرٍ ﴾[1]. فإن الهدى [من][2] العلم، والكتاب المنير من الهدى، وبيّن أنه أخذ الذين كفروا، وهذا أنزله ليبيِّن عاقبة المكذبين، ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[3]. وهذه السورة مكيَّةٌ، ثم أنزل في آل عمران – وهي مدنية – في سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول، والمؤمنين، [وتثبيتُهُم][4]، وتعزيتُهُم لما أصابهم من المكذبين يوم أحد وغيرِهِ، ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ ﴾[5] الآية، بيّن – سبحانه– أن هذا القول منهم: مع أنه كذب، فلم يقولوه إلَّا دفعاً للحق، لا ليؤمنوا بما جاءهم بذلك، والكلام في الجنس الذين يوالي بعضُهم بعضاً، ويتبع بعضُهم بعضاً، كاليهود الذين هم على

---

(١) سورة الحج: ٨، سورة لقمان: ٢٠.

(٢) في المخطوط: (في).

(٣) سورة فاطر: ٢٥.

(٤) في المخطوط: (بنيهم)، فأثبت ما في الأصل.

(٥) سورة آل عمران: ١٧٦ – ١٨٣.

دين سلفهم الذين فعلوا ذلك، ولهذا يذمُّهم بصيغة الخطاب، كقوله: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[1]، ثم قال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾[2] الآية، فحذف الفاعل، وبنى الفعل للمفعول، إذ المقصود هنا: ذكر [تسلية][3] الرسول، لا ذكر عقوبتهم، فلهذا كانت هذه أخصّ من تلك.

(١) سورة البقرة: ٥٠.

(٢) سورة فاطر: ٤.

(٣) في المخطوط: (تسليتهُ)، فأثبت ما في الأصل.

فَصْلٌ

من آيات الأنبياء إهلاك الله مكذبيهم[1]، ونصرة المؤمنين بهم[2]، كإغراق قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم، وقد ذكر الله هذه القصص في القرآن في غير موضع، وبيَّن أنها من آيات الأنبياء، كما في سورة الشعراء.

ومن ذلك: ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم، ومن لسان الصدق والثناء والدعاء لهم، ولمن آمن بهم، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]. وكذلك في قصة إبراهيم، أي: تركنا هذا القول الذي [يقولُهُ][4] المتأخرون، وكذلك في قصة موسى وهارون، وإلياس.

---

(١) في الأصل: (لمكذبيهم).

(٢) في الأصل: (ونصره للمؤمنين بهم).

(٣) سورة الصافات: ٧٨ – ٧٩.

(٤) في المخطوط: (يقول)، فأثبت ما في الأصل.

وكذلك قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[1]، وقال في قصة فرعون: ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾[2]، ولهذا قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[3]، وقال: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4].

ثم إنّه ما وقع لهؤلاء وهؤلاء يُعلَم بالسمع والنقل تارة، ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة، كما قال- عن أهل النار-: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[5]. كما ذكر الله الطريقين في قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[6]الآية، وقال: ﴿ إِنَّ فِي

---

(١) سورة مريم: ٥٠.

(٢) سورة القصص: ٤٢.

(٣) سورة يوسف: ١١١.

(٤) سورة هود: ٤٩.

(٥) سورة الملك: ١٠.

(٦) سورة الحج: ٤٦.

ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[1] الآية، وقال ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] الآيتين، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[3] الآيتين، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[4] إلى آخر السورة.

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[5] الآيتين، وقال: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾

---

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) سورة الروم: ٩ – ١٠.

(٣) سورة غافر: ٢١ – ٢٢.

(٤) سورة غافر: ٨٢ – ٨٥.

(٥) سورة هود: ١٠٠.

﴿ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1]، وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾[2]، والإمام المُبِين: هو الطريق المستبين الواضح، بيّن - سبحانه- أن هذه وهذه كلاهما سبيل للناس، يرونها بأبصارهم، فيعلمون بذلك ما فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم، والدلالة وكون هذا فُعل لأجل هذا، هو مما يعلم بالاضطرار، عند تصوُّر الأمر على ما هو عليه، كانقلاب العصا حيّة، عقيب سؤال فرعون الآية، وأمثاله.

والسؤال الذي يورَد على قول من ينفي التعليل، أنه على أصلكم له، يفعل هذا لأجل هذا، وأيضاً يجوز عندكم أن يظهر الخوارق على يدي الكاذب.

وأيضاً: أنتم لا تعلمون ما يفعل الرب إلّا بالعادة أو خبر نبي، فقبل العلم بصدق النبي لا يعلم شيء بخبره، والعادة إنما

---

(١) سورة الصافات: ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) سورة الحجر: ٧٥ - ٧٩.

تكون فيها تكرر، كطلوع الشمس، ونزول المطر، والإتيان بالخوارق للتصديق ليست معتادة.

فيقال: هذا لو كان متوجهاً فإنما يقدح في قول هؤلاء، ولهذا ذكره مخالفوهم حجة في إبطال مذهبهم، وقالوا: قولكم[1] يقدح في العلوم الضرورية، ويسد باب العلم بصدق الرسل، وقالوا: إذا جوزتم أن يفعل كل شيء، فجوِّزوا أن تكون الجبال انقلبت ياقوتاً، والبحار لبناً، ونحو ذلك، مما يعلم بالضرورة بطلانه، وجوِّزوا أن يخلق المعجزات على أيدي الكذابين، فلا يقدح كلام هؤلاء فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلاء وهؤلاء، وأن الله نجّى موسى ونصره لصدقه، وأهلك فرعون لتكذيبه.

وكذا سائر الرسل وأتباعهم، كما قال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾[2] الآية، وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

---

(١) في الأصل: (قولهم).

(٢) سورة غافر: ٥١.

الآيتين[1]، ولا يقدح فيما علم بالاضطرار من أن الله ينزل المطر لسقي المزارع، وأنه جعل الأعضاء لما فيها من المنافع، كالبطش لليدين، والمشي للرجلين، وجعل ماء العين ملحاً لكونهما شحمة، والملوحة تمنعهما أن تذوب، وماء الأذن مرّاً ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ، وماء الفم عذباً ليطيب الطعام والشراب، وجعل البحر مالحاً، إلى ما لا يحصى من حكمة الله المشاهدة في خلقه، وهم يقولون: نعم[2]، أن هذا مقارن لهذا الحكم للعادة[3] التي أجراها الله، وإن لم يخلق شيئاً لشيء.

وكذلك مَنْ نفى الأسباب مع نفي التعليل، يقولون: ذلك لأنه كاقتران المعجزة بالتصديق -عندهم-، لكن يبقى عليهم: أن هذا لا يعلم إلّا بالعادة، ولا عادة.

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴾ سورة الصافات: ١٧١ - ١٧٣.

(٢) في الأصل: (نعلم).

(٣) في الأصل: (بحكم العادة).

فلا جرم رجعوا إلى فطرتهم، من أن هذا معلوم بالاضطرار، وإن ناقض أصلهم الفاسد، وضربوا له مثلاً بالمَلِك الذي أظهر ما يناقض عادته لتصديق رسوله.

فيقال: الملك يفعل فعلا لمقصود، فأمكن أن يقال: أنه قام لتصديق رسوله، وعندكم أن الله لا يفعل شيئاً لشيء، فلم يبق المثل مطابقاً، ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع، تارة يقولون: المعجزات دليلٌ على الصدق، لئلا يفضي إلى تعجيز الرب، فإنه لا دليل عليه إلّا بذلك، فلو لم يكن دليلا لزم أن يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول، وهذه طريقة الأشعري في أكثر كتبه، وسلكها ابن فورك وغيره، كالقاضي أبي يعلى.

والثاني قالوا: نعلم بالاضطرار أنه فعل هذا لأجل التصديق، كالمثل المضروب، وهذا قول الأشعري في أماليه، وأبي المعالي وأتباعه.

وتنازعوا: هل يمكن خلق ذلك على يد كذاب؟ فقيل: لا يمكن، لأنه لو أمكن لجاز وقوعه، وقيل: بل مقدور، لكن نعلم أنه لا يفعله، كما نعلم أنه لا يفعل كثيراً من الخوارق والمقدورات، كقلب الجبل ياقوتاً.

قالوا: فلا يلزم من كونها ممكنة أن لا نعلم انتفاء وقوعها، وقالوا: المعجز عَلَم على [صدق][1] الأنبياء، فيمتنع أن يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه، وهذا حق، لكن منازعهم يقول: هو يستلزم نقيض ما نفوه من كون الله يخلق شيئاً لشيء، وما قالوا من كونه يَجُوز عليه فعل كل شيء، وما ذكروه من الحق دليلٌ على أن الخلق يعلمون ما تعلمونه من حكمة الرب ومراده بما يخلقه لأمر آخر، وأنه - سبحانه- منزَّهٌ عن أن يفعل أشياء، وهم يقولون هنا: قد يكون الشيء ممكناً مع العلم بأنه غير واقع، كانقلاب الجبل ياقوتاً، وعلى هذا يعتمدون كثيراً، كما يذكره القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى، ثم إنهم يقولون

---

(١) في المخطوط: (تصديق)، فأثبت ما في الأصل.

في العقل: أنه علوم ضرورية، كالعلم بوجوب الواجبات، وامتناع الممتنعات، وجواز الجائزات، فالممتنعات: كانقلاب دجلة دماً، وأمثاله من الأمور العادية، فيجعلون العادات واجبة تارة، وممتنعة أخرى، مع أنه لا سبب يوجب لا هذا ولا هذا.

ويقولون: نعلم أن هذا جائز ممكن، لا يتوقف على سبب، ولا له مانع كالآخر، ثم نعلم أن هذا واقع، وهذا غير واقع، لمجرد العادة، مع أن جري العادة ليس له عندهم ضابط، بل كل ما يجري من العادات معجزات [للأنبياء][1]، فيجوز أن يكون عندهم [للولي وللساحر][2]، والفرق بينهما - عندهم : التحدِّي أو عدمُ المعارضة.

وكذلك الفلاسفة الملاحدة الذين يقولون: من أسباب الآيات القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية، وهذه

---

(١) في المخطوط: (الأنبياء)، فأثبت ما في الأصل.

(٢) في المخطوط: (الولي والساحر)، فأثبت ما في الأصل.

مشتركة عندهم بين الأنبياء والسحرة، لكن النبيَّ يقصد الخير والعدل، والساحر يقصد الشر والظلم.

وكذلك الذين وافقوا جهماً على أصله في القدر، لا فرق عندهم بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة، لكن الوليَّ مطيع لله، والساحر غير مطيع له، وهذا عمدة هؤلاء النفاة للحكم[1] والأسباب في أفعاله تعالى.

والجمهور[2] يخالفونهم، ويقولون: هذا القول فاسد، بل نفس تصوُّره كافٍ في العلم بفساده، فإنهما إذا تماثلا من كل وجه: فمن أين يُعلم وجود هذا أو وجوبه،
أو عدم هذا أو امتناعه.

وإذا قيل: العادة ! قيل له: منازعوك يقولون: **هذا باطل من وجهين:**

---

(١) في الأصل: (للحكمة).

(٢) في الأصل: (وجمهور الناس).

أحدهما: أنك تجوِّز انتقاض العادة، وليس لانتقاضها عندك سبب ولا حكم[1]، بل لا فرق عندك بين انتقاضها للأنبياء والسحرة، ولهذا قلتم: ليس بين المعجزات والسحر فرق، إلّا مجرَّد اقتران دعوى النبوَّة، والتحدِّي بالمعارضة، مع عدم المعارضة، مع أن التحدِّي بالمعارضة قد يقع من المشرك[2] الساحر، فلم يثبتوا فرقًا يعود إلى جنس الخوارق[3]، ولا إلى قصد الفاعل، ولا قدرته، ولا حكمته.

والثاني: أن العادة لابُدَّ لها من أسباب وموانع، وبه يظهر الجواب عمَّا قالوه: من انقلاب الجبل ذهباً، فإن الجمهور[4] لا يسلِّمون لهم هذا إلّا مع لوازمه، وانتفاء أضداده، مثاله: غَرَق قوم نوح، لم يكن بلا سبب، بل أنزل الله ماء السماء، وأنبع ماء

---

(١) في الأصل: (ولا حكمة).

(٢) في الأصل زيادة: (بل ومن الساحر).

(٣) أي: الخوارق المفعولة.

(٤) في الأصل: (جمهور الناس).

الأرض، وكذلك عاد وثمود، وكل ما في العالم من هذا[1] لم يأت إلّا بأسباب تقدَّمته، مثل: مصير العصا حيَّة، كانت بعد أن ألقاها، إما عند أمر الله له بذلك، لَمَّا ناداه، وإما عند مطالبة فرعون بالآية، وإما عند معارضة السحرة، وأما جبلٌ ينقلب ياقوتاً بلا أسباب تقدَّمت، فلا كان ولا يكون، ومن قال: إن الشيء ممكن، فهذا يُعنى به شيئان: يعنى به الإمكان الذهني، أو الخارجي.

فالذهني: عدمُ العلم بالامتناع، وذلك غير العلم بإمكانه، فكلُّ من لم يعلم امتناع شيء، كان عنده ممكناً بهذا الاعتبار، ولكن هذا ليس بعلم إمكانه، ومن استدلَّ على إمكان الشيء: بأنه لو قدِّر لم يلزم منه محالٌ من غير بيان انتفاء لزوم كل محال، كما يفعله طائفة، كالآمدي[2] لم يكن معه إلّا مجرَّد الدعوى.

---

(١) أي: خوارق العادة.

(٢) في المخطوط: (الآسدي)، وهو تصحيف.

وأمَّا الثاني: وهو العلمُ بإمكان الشيء في الخارج، فهذا يُعلم تارة بعلم وجوده، أو وجود نظيره، وما هو أقرب الى الامتناع منه، فإذا كان حَمْل البعير للقنطار ممكناً، كان حمله لتسعين رطلاً أولى بالإمكان، وهذه الطريقة يبيِّن الله في القرآن إمكان ما يريد بيان إمكانه، كما أحيى الموتى والمعاد، فإنه يبيِّن ذلك: تارة ببيان وقوعه، كما في سورة البقرة، وتارة بما هو أعظم، كالنشأة الأولى، وخلق السماوات والأرض، كقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ ﴾[1] الآية.

والمقصود هنا: أن آيات الأنبياء متنوِّعةٌ قبل المبعث، وحين المبعث، وبعد موتهم، مثل: إخبار من تقدَّم من الأنبياء، وأمَّا حين المبعث فظاهر، وأمَّا في حياته فمثل نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه، وأمَّا بعد موته فمثل نصر أتباعه، وإهلاك أعدائهم.

---

(١) سورة يس: ٨١.

ومحمد - صلى الله عليه وسلم - جُعلت له الآيات البيِّنات، قبل مبعثه، وفي حياته، وبعد موته، إلى الساعة، وإلى قيام الساعة، فإن ذِكْره، وذِكْر كتابه، والبشارة بذلك، موجودة في الكتب المتقدمة، والخليلُ دعا به، فقال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[1] الآية، ولمَّا ولد اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف، وجرى ذلك العام قصَّةُ أصحاب الفيل، وكان يحصل مدة نشأته من الآيات والدلائل أمور كثيرة، مثل ما حصل لمرضعته لما كان عندها[2]، ....

---

(١) سورة البقرة: ١٢٩.

(٢) روى ابن إسحاق في "السيرة" (١/ ١٤٩-طه عبد الرؤوف)، ومن طريقه: إسحاقُ بنُ راهويه في "مسنده" (٧٥٦٤-المطالب العالية)، وأبو يعلى (٧١٦٣)، وابن حبان (٦٣٣٥)، والطبراني (٢٤/ ٢١٢-٢١٤/ ٥٤٥)، والآجري في "الشريعة" (٩٦٤-الدميجي)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٧٥٦٤)، وفي "دلائل النبوة" (٩٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (١/ ١٣٢-١٣٩)، والطبري في تاريخه (٢/ ١٥٨-١٦٠)، عَنْ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤيب السَّعْدية، أُمّ رَسُولِ اللهِّ -صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّتِي أَرْضَعَتْهُ، تُحدِّثُ: أَنَّهَا

خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ، قَالَتْ: وَذَلِكَ فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ، لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا: قَالَتْ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ، مَعَنَا شَارِفٌ لَنَا، وَاللهِ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ، وَمَا نَنَامُ لَيلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيِّنَا الَّذِي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ، مَا فِي ثَدْيَيَّ مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغذِّيهِ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الغَيْثَ وَالْفَرَجَ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ، فَلَقَدْ أَدَمْتُ بالرَّكْب، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وعَجَفًا، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم- فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ: أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ؟! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وجَدُّه؟ فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي، فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الإنْطِلَاقَ، قُلْتُ لِصَاحِبِي: وَاللهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَاللهِ لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ، فَلَآخُذَنَّهُ، قَالَ: لَا عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً. قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا أَخَذْتُهُ، رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ، ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ، فَإِذَا إِنَّهَا لَحَافِلٌ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِب، وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ. قَالَتْ: يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعَلَّمِي وَاللهِ يَا حليمةُ، لَقَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَتَانِي،

وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِي، فَوَاللهِ لَقَطَعَتْ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِم، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لِيَقُلْنَ لِي: يَا ابْنَةَ أَبِي ذُؤَيْب، وَيْحَكِ! ارْبَعِي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَكِ الَّتِي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟ فَأَقُولُ لَهُنَّ: بَلَى وَاللهِ. إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ، فَيَقُلْنَ: وَاللهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا. قَالَتْ: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ. وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللهِ أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبَّنًا. فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ. وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ. حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ: وَيْلَكُمْ اِسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبَّنًا، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ، حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ؛ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا.

قَالَتْ: فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا؛ لِمَا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ؛ فَكَلَّمْنَا أُمَّهِ، وَقُلْتُ لَهَا: لَوْ تَرَكْتُ بُنَيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ، قَالَتْ: فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا. قَالَتْ: فَرَجَعْنَا بِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ بَعْدَ مَقْدِمِنَا بِشَهْرٍ مَعَ أَخِيهِ لَفِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بُيُوتِنَا، إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلِأَبِيهِ: ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيُّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَاهُ، فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَهُمَا يَسُوطَانِهِ، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَحْوَهُ، فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا مُنْتَقِعًا وَجْهُهُ. قَالَتْ: فَالْتَزَمْتُهُ وَالْتَزَمَهُ أَبُوهُ، فَقُلْنَا لَهُ: مَا لَكَ يَا بُنَيَّ، قَالَ: جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي، فَالْتَمَسَا شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ. قَالَتْ: فَرَجَعْنَا إِلَى خِبَائِنَا. قَالَتْ: وَقَالَ لِي

ومثل ما شوهد في صغره[1]، وأما انتصار الله له ولأتباعه وإعلاء ذكره، ونشر لسان الصدق له، وإهلاك أعدائه، وإذلال

أَبُوهُ: يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ، فَأَلْحِقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ، قَالَتْ: فَاحْتَمَلْنَاهُ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فَقَالَتْ: مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظِئْرُ، وَقَدْ كُنْتِ حَرِيصَةً عَلَيْهِ، وَعَلَى مُكْثِهِ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَقَدْ بَلَغَ اللهُ بِابْنِي وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ، وَتَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ، فَأَدَّيْتُهُ إِلَيْكِ كَمَا تُحِبِّينَ. قَالَتْ: مَا هَذَا شَأْنُكِ، فَأَصْدُقِينِي خَبَرَكِ. قَالَتْ: فَلَمْ تَدَعْنِي حَتَّى أَخْبَرْتُهَا. قَالَتْ: أَفَتَخَوَّفْتِ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: كَلَّا. وَاللهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ، وَإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأْنًا، أَفَلَا أُخْبِرُكِ خَبَرَهُ. قَالَتْ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ: أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ. ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ: مِنْ حَمْلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. دَعِيهِ عَنْكِ، وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً.

وإسناد القصة ضعيف، فيه الجهم بن أبي الجهم شيخ ابن إسحاق، قال الذهبي: " في "المغني في الضعفاء" (١/ ١٣٨): " لا أعرفه، له قصة حليمة السعدية ". ثم الجهم لم يسمعه من عبد الله بن جعفر، وهذا الأخير لم يدرك حليمة السعدية. والقصة ضعَّفها العلامة الألباني في "دفاع عن الحديث النبوي" (٣٩-٣٨) وفي "التعليقات الحسان" (٦٣٠١).

(١) من ذلك حادثة شق صدره عليه الصلاة والسلام، فروى مسلم

من يحاده، وإظهار دينه على كل دين، باليد، واللسان، والدليل، والبرهان، فهذا مما يطول وصف تفصيله.

والأنبياء وأتباعهم وإن ابتلوا أوّلاً، فالعاقبة لهم، كما قال تعالى لمّا قصّ قصة نوح: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وفي حديث هرقل: " **كَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، وَتَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ**"[2].

---

(١٦٢) (٢٦١): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَاهُ جِبْرِيلُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ "، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ».

(١) سورة هود: ٤٩.

(٢) رواه البخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣) (٧٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في حديث طويل.

فإن قيل: فإن في الأنبياء مَن قُتل، كما أخبر الله أن بني إسرائيل يقتلون النبيين بغير حق، وفي أهل الفجور من يؤتى سلطاناً، وتسليطاً على المؤمنين " كبخت نصر"، قيل: أما من قتل من الأنبياء، فهو كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد، كما قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾[1] الآيات، ومعلومٌ أن حال هؤلاء أكملُ من حال من يموت من المؤمنين حتف أنفه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾[2] الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[3] الآية، ثم الدِّين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر، فيكون لطائفته السعادة الكبرى، ومن قتل منهم كان شهيداً، وهذا غايةُ ما يكون من النصر، إذ كان الموت لابدَّ منه، بخلاف من يهلَك هو وطائفته، فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم؛ لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٣) سورة التوبة: ٥٢.

والشهداء قاتلوا باختيارهم، وفعلوا الأسباب التي بها قُتلوا، فهم اختاروا الموت، إما أنهم قصدوه، وإما قصدوا ما به يصيرون شهداء، عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة، وفي الدنيا بانتصار لطائفتهم، وبقي لسان الصدق لهم: ثناء ودعاء، بخلاف غيرهم، فإنهم هلكوا بغير اختيارهم، هلاكاً لا يرجون معه سعادة الآخرة، ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا، بل أُتْبِعوا في هذه اللعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، وقيل فيهم: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1] الآيات، وقد أخبر -تعالى- أن كثيراً من الأنبياء قُتل معه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ أي: ألوفٌ كثيرة، وأنهم ما استكانوا لذلك، بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو، وأن الله آتاهم ثواب الدنيا وحسنَ ثواب الآخرة.

---

(١) سورة الدخان: ٢٥ – ٢٩.

فإذا كان هذا في قتل المؤمنين، فما الظنُّ بقتل الأنبياء، ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة، ما هو من أعظم الفلاح.

وظهورُ الكفَّار على المؤمنين أحياناً هو بسبب ذنوب المؤمنين، كيوم أُحُد، فإن تابوا انتصروا، كما قد جرى للمسلمين في عامَّة ملاحمهم مع الكفار، وهذا من آيات النبوَّة، فإن أتباع النبيِّ إذا قاموا بوصاياه نُصروا، وإذا ضيَّعوها ظهر أولئك عليهم، فمدار النصر والظهور مع متابعة النبيِّ وجوداً وعدماً، من غير سبب يزاحم ذلك، ودورانُ الحكم مع الوصف وجوداً وعدماً من غير مزاحمة وصف آخر، يوجب العلم بأن المدار عليه، وقولنا: من غير مزاحمة، وصفٌ آخر يزيل النقوض الواردة، فهذا الاستقراء والتتبُّع يبيّن أن نصر الله بسبب اتباع النبيِّ، وأن الله -سبحانه- يريد إعلاء كلمته، ونصره، ونصر أتباعه، وهذا يوجب العلم بنبوَّته.

ومن هذا ظُهورُ (بخت نصر) إنما كان لمّا غيَّروا عهود موسى، فإذا اتبعوها كانوا منصورين، كما كان زمن داود وسليمان وغيرهما، قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1] الآيات.

فكان ظهورهم تارة، وظهور عدوّهم تارة من دلائل نبوَّة موسى - صلى الله عليه وسلم-، وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحياناً، فإن أولئك لا يقول مطاعهم: أنه نبيٌّ، ولا يقاتلون أتباع الأنبياء على دين، ولا

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ سورة الإسراء: ٤ – ٨.

يطلبون منهم أن يتبعوهم على دينهم، بل يصرِّحون: بأنا نصرنا عليكم بذنوبكم، وأنكم لو اتَّبعتم دينكم لم نُنصر عليكم، وأيضاً فلا عاقبة لهم، بل الله يهلك الظالم بالظالم، ثم يهلك الظالمين جميعاً، ولا قتيلُهم يطلب بقتله سعادةً بعد الموت، فهذا وأمثالُه مما يظهر به الفرق.

وبيَّن أن ظهور محمَّد وأمَّته على أهل الكتاب، من جنس ظهورهم على عبدة الأوثان، فإن من أهل الكتاب من يقول: ((سُلِّطوا علينا بذنوبنا، مع صحَّة ديننا " كبخت نصر"))، وهذا قياسٌ فاسدٌ، فإن ذلك من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة، وهذا من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى النبوة، فإنه ليس دليلاً عليها.

وقد يَغْرق في البحر أممٌ كثيرة، فلا يدل على نبوَّة نبيٍّ، بخلاف غرق فرعون وقومه، وهذا موافق لما أخبر به موسى – عليه السلام – أن الكذاب لا يتم أمره، وذلك أن الله حكيم، لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبيِّن كذبه، ولهذا

أعظمُ الفتن الدَّجَّال، لَمَّا اقترن بدعواه خوارق، كان معها ما يدلُّ على كذبه، كدعواه الإلهية وهو أعور، مكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤه كل مؤمن، والله - سبحانه - لا يراه أحدٌ حتى يموت، وقد ذكر - صلى الله عليه وسلم - هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة[1]، فأمَّا تأييدُ الكذَّاب دائماً لم يقع قط، فمن يستدلُّ على ما يفعله الربُّ -سبحانه - بالعادة والسنَّة فهذا هو الواقع، ومن يستدلُّ بالحكمة، فحكمتُه تناقض أن يفعل ذلك، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾[2] الآيتين، فأخبر أن سنَّته التي لا تبديل لها نصرُ

(١) روى البخاري (٧١٣١) واللفظ له، ومسلم (٢٩٣٣) (١٠١): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»، وفي رواية لمسلم (٢٩٣٣) (١٠٣): « الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ ».

(٢) قال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ سورة الفتح: ٢٢ - ٢٣.

المؤمنين على الكافرين، والإيمانُ المستلزم لذلك يتضمَّن طاعة الله ورسوله، فإذا نُقض بالمعاصي كان الأمر بحسَبه، كيوم أُحد.

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾[1] الآيتين، فأخبر أن سنته لا تتبدل ولا تتحول. وكذلك قال في المنافقين -وهم الكفار في الباطن- ومن فيه شعبة نفاق: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[2] الآيات.

والسنَّة: هي العادة، فهذه عادته المعلومة، والكاذب الفاجر وإن أُعطي دولة، فلابد من زوالها، كما في الصحيح: " **ومثل المنافق: كمثل شجرة الأرز، لا تزال ثابتة على أصلها، حتى يكون انجعافها مرة واحدة** "[3]، ولابد من بقاء لسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعاً، ويزول سريعاً.

---

(١) سورة فاطر: ٤٢ – ٤٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٠ – ٦٢.

(٣) رواه البخاري ٥٦٤٣، ومسلم ٢٨١٠، عن كعب بن مالك رضي الله عنه، والشيخ -رحمه الله- ذكره بمعناه.

وأما الأنبياء: فإنهم يبتلون كثيراً، ليمحَّصوا بالبلاء، فإن الله- تعالى- إنما يمكِّن العبد إذا ابتلاه، ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً، كالزرع، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ الى قوله: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾[1] الآية، ولهذا كان أوَّل ما يتبعهم ضعفاء الناس.

فاعتبار هذه الأمور، وسنَّة الله في أوليائه وأعدائه، مما يوجب الفرق بين النوعين، وبَيْن دلائل هذا[2] ودلائل هذا[3]، وقد ذُكر ابتلاء النبيِّ والمؤمنين، ثم تكون العاقبة لهم في غير موضع، كقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ ﴾[4] الآية، وقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) أي: النبي الصادق.

(٣) أي: المتنبئ الكاذب.

(٤) سورة الأنعام: ٣٤.

يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾[1] الآية، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[2] إلى آخرها.

[ما جاء في أنواع الأدلة]

ومما ينبغي أن يُعلم، أن الأدلَّة نوعان:

نوعٌ: يدلُّ على مجرد العلم بالمدلول عليه.

ونوعٌ: يحضُّ -مع ذلك- على الرغبة والرهبة.

فالأول: خبر مجرَّدٌ. والثاني: من جنس [الحثِّ][3] والطلب، كمن عَلم أن في المكان الفلاني جمادات أو حيوانات، ليس له فيها غرض، فليس بمنزلة من عَلم أن فيه صديقه، أو ولده وماله، أو عدوه، ومن يقتله، أو يأخذ ماله، فكذلك دلائل النبوَّة، هي كلها تدلُّ على صدق النبيِّ، ثم يُعلم ما يخبِر

---

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

(٢) سورة يوسف: ١٠٩ – ١١١.

(٣) في المخطوط: (الحب)، فأثبت ما في الأصل.

به من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، فهذا طريقٌ صحيحٌ عامٌّ.

وأمّا إثبات نبوَّة الأنبياء: بما فعله بهم وبأتباعهم من النصرة والسعادة، وما فعله بمخالفيه من الهلاك وسوء العاقبة، فهذا يدلُّ -مع صدق النبيِّ - على الرغبة[1] والرهبة[2]، ففيه العلم بصدقهم والموعظة. والوعظ هو: أمرٌ ونهيٌ وترغيبٌ وترهيبٌ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾[3] أي: يؤمرون به، وقال: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾[4]، وهذه الطريق أكمل وأبلغ في المقصود، ولهذا كان -صلى الله عليه وسلم - يقرأ في العيد بـقاف واقتربت[5]، لما فيهما من بيان ذلك، وقاف كان

---

(١) أي: بأتباعهم.

(٢) أي: من مخالفتهم.

(٣) سورة النساء: ٦٦.

(٤) سورة النور: ١٧.

(٥) روى مسلم (٨٩١) (١٤): عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

يقرأ بها في الجمعة[1]، فإنها جامعةٌ لإثبات النبوّات والمعاد، وبيان حال متَّبعي الأنبياء ومخالفيهم في الدنيا.

ومما ينبغي أن يُعلم: أن الله إذا أرسل نبيّاً وأتى بآية دالة على صدقه، قامت بها الحجة، وظهرت بها المحجة، فمن طالب بآية ثانية، لم تجب إجابتُه، بل وقد لا ينبغي؛ لأنه إذا جاء بثانية، طولب بثالثة، فإذا جاء بها، طولب برابعة، وطلبُ المتعنِّتين لا أمد له، ومعلوم أن من قامت عليه حجة في مسألة أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها، لو قال: أنا لا أقبل حتى تقوم عليَّ حجة ثانية وثالثة، كان ظالماً، ولم تجب إجابتُه، ولم

وَسَلَّمَ- فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ "ق" وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ».

(١) روى مسلم (٨٧٣) (٥٢): عَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَتْ: «لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاحِدًا، سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ».

يُمَكِّن الحكامُ الخصومَ من ذلك، فحقُّ الله الذي [أوجبه][1] على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى.

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمةٌ فَتُتَابَع، كآيات محمد- صلى الله عليه وسلم- لعموم دعوته، فإن الأدلة كلما كثرت كان أظهر، فقد يَعْرِف دلالة أحد الأدلة من لا يَعْرف دلالة الآخر، وقد يبلغ هذا ما لا يبلغ هذا، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة، ويُقسي قلوب الكفار عن الإيمان، لينتشر ذلك ويظهر، ويبلغ ذلك قومًا آخرين، فيصير سبباً لإيمانهم، كما في التوراة ((أنه يُقسي قلب فرعون ليظهر عجائبه وآياته))، كما صَدَّ المكذِّبين لمحمد حتى يسعوا في معارضته، والقدح في آياته، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته، بخلاف ما لو اتُّبع ابتداء بدون ذلك، فإنه قد كان يُظَن أنهم قادرون على معارضته.

---

(١) في المخطوط: (أوجب)، فأثبت ما في الأصل.

وكذلك - أيضاً- يكون في ذلك من صبره، وجهاده، ويقينه، وصبرهم، وجهادهم، ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة، وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال، كما ذكره في كتابه أن الكفار يقترحون، فتارة يجيبهم الله؛ لما فيه من الحكمة، وتارة لا يجيبهم؛ لما فيه من المضرَّة، وربما طَلب الرسول تلك الآيات، رغبةً في إيمانهم، فيجاب بأنها لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذَّب بها، والله - تعالى - قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر، كفرعون وأبي لهب وغيرهما؛ لما فيه من الحكمة العظيمة، كما دلَّ على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما، وقد بيَّن أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة، أو لوجود المفسدة، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾[1] الآيات، وقال:

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٩ – ١١١.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾[1] الآية.

وهذا المعنى مذكورٌ في عامَّة كتب التفسير والحديث وغيرهما، كما ذكروا عن ابن عبَّاس، قال: " سَأَلَهُ[2] أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُحَوِّلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَباً، وَأَنْ يُنَحِّيَ عَنْهُمُ الْجِبَالَ حَتَّى يَزْرَعُوا، فَقِيلَ: إِنْ شِئْتَ تَسْتَأْنِي بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوهُ، فَإِنْ كَفَرُوا هَلَكُوا كَمَا أُهْلِكَتُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، قَالَ: بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ))، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الآية[3] "[4].

---

(١) سورة الإسراء: ٥٩.

(٢) أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) سورة الإسراء: ٥٩.

(٤) رواه أحمد (٢٣٣٣)، والنسائي في "الكبرى" (١١٢٢٦-الرسالة)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في "الصحيحة" (٣٣٨٨).

وروى ابنُ أبي حاتم عن الحسن في الآية، قال: ((رَحْمَةَ لَكُمْ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ، أَنَّا لَوْ أَرْسَلْنَا الْآيَاتِ فَكَذَّبْتُمْ بِهَا، أَصَابَكُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَكُمْ))[1]، وقد كانت الآيات تأتيه- صلى الله عليه وسلم - آية بعد آية، فلا يؤمنون بها.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2]، أخبر – سبحانه – أن الآيات تأتيهم، فيكذِّبون بالحق، وسوف يرون صدق ما جاء به الرسول، كما أهلك من كان قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسول، فإن الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾[3] الآية، وأخبر

---

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (١٤/ ٦٣٦).

(٢) سورة الأنعام: ٤ – ١١.

(٣) سورة القصص: ٥٩.

بشدَّة كفرهم، بأنه لو أنزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية[1].

وبيَّن - سبحانه- أنه لو جعل الرسول مَلَكاً لجعله في صورة الرجل، إذ كانوا لا يطيقون أن يروا الملائكة في صورهم، وحينئذٍ فكان اللبس يقع لظنِّهم أنه بشرٌ لا ملك.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[2]، وهذه التي اقترحوها لو أجيبوا بها ثم لم يؤمنوا، أتاهم عذاب الاستئصال، وهي مما لا يصلح، فإن تفجير الينبوع بمكَّة يصيِّرها وادياً ذا زرع، والله من حكمته جعل بيته [بوادٍ غير ذي زرع][3]، كذلك لئلَّا يكون عنده ما

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة الأنعام: ٧.

(٢) سورة الإسراء: ٩٠ – ٩٥.

(٣) زيادة من الأصل لابد منها.

ترغب فيه النفوس من الدنيا، فيكون حجُّه[1] للدنيا لا لله، وإذا كان له جنّة كذلك، كان فيه من التوسُّع في الدنيا ما ينقص درجته، وكذلك إذا كان له بيتٌ من زخرف: وهو الذهب.

وإسقاطُ السماء لا يكون إلّا يوم القيامة، وهو لم يخبرهم أنه يكون[2] إلّا يوم القيامة، فقولهم: " كما زعمت " كذبٌ منهم[3]، إلّا أن يريدوا التمثيل، فيكون القياس فاسداً.

وأمَّا الإتيانُ بالله وبالملائكة قبيلا، [فهذا لَمَّا][4] سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة.

وأما إنزال الكتاب قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[5] الآيات، بيّن – سبحانه – أنهم

---

(١) في الأصل: (حجهم).

(٢) في الأصل: (لا يكون).

(٣) في الأصل: (عليه).

(٤) في المخطوط: (فلمّا)، فأثبت ما في الأصل.

(٥) سورة النساء: ١٥٣ – ١٦١.

سألوه إنزال الكتاب، وأن أهل الكتاب سألوه ذلك، وبيَّن – سبحانه – أن الطائفتين لم يؤمنوا إذا جاءهم ذلك، وإنّما سألوه تعنُّتًا، فقال– عن المشركين–: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾[1] الآية.

وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[2]، فهم مع هذا نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا النبيِّين، إلى امثال ذلك، وأنه بسبب ظلمهم وصدِّهم عن سبيل الله حرَّم عليهم طيِّباتٍ.

ففيه من الاعتبار لهذه الأمة، أن الأمة المكذبة[3]، بل الذين لا يهتدون، إذا جاءتهم الآيات المقترحة، لم يكن فيها منفعة لهم،

---

(١) سورة الأنعام: ٧.

(٢) سورة النساء: ١٥٣.

(٣) في الأصل زيادة: (المكذبة بِك).

بل توجب عقوبة الاستئصال، فكان [أن لا يَنْزِل][1] أعظم رحمة وحكمة.

وقد عرض الله - سبحانه - على محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يهلك قومه لمّا كذبوه، فقال: "**بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ؛ لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَّ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** "، وذكر حديث الأخشَبَيْن[2].

ولمّا طُلِبَ من المسيح المائدة، كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذاباً لم يعذِّبه أحداً من العالَمين، وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذِّبين للرسل بعذاب الاستئصال، وأظهر آيات كثيرة لمّا أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الأرض، [إذ][3] كان بعد نزول التوراة لم يعذِّب أحداً[4] بعذاب

---

(١) في المخطوط: (الأنزال)، والصحيح ما أثبته من الأصل، وفي حاشية المخطوط قال الناسخ: (لعله: عدم الإنزال).

(٢) سبق تخريجه، وذكره بلفظه، والشيخ - رحمه الله - ذكره بمعناه.

(٣) في المخطوط: (إذا)، فأثبت ما في الأصل.

(٤) في الأصل: (لم يهلك أمة).

الاستئصال، بل كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1].

بل كان بنو إسرائيل لما كانوا يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يُعَذب بعضهم، ويبقى بعضُهم، إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر، ولهذا لم يزل في الأرض أمَّة من بني إسرائيل باقية، قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾[2]الآية، وقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾[3]الآيتين.

وكان من حكمته ورحمته – سبحانه وتعالى – لمّا أرسل محمداً – صلى الله عليه وسلم– [أن][4] لا يهلك قومه بعذاب

---

(١) سورة القصص: ٤٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٨.

(٣) سورة آل عمران: ١١٣ – ١١٤.

(٤) زيادة من الأصل.

الاستئصال، بل عذَّب بعضَهم بأنواع العذاب، كالذين قال فيهم: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[1][2]، ....

(١) سورة الحجر: ٩٥.

(٢) روى أبو زرعة الرازي في "دلائل النبوة" كما في "الجواب الصحيح" (٦/ ٢٩٠-٢٨٩)، والطبراني في "الأوسط" (٤٩٨٦) وفي "الأحاديث الطوال" (٣٣)، والبيهقي في "السنن" (٩/ ١٤-١٥)، وفي "دلائل النبوة" (٢/ ٣١٨-٣١٦)، وابن مردويه في "تفسيره" كما في "تخريج الكشاف" للزيلعي (٢/ ٢٢١)، ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٩٨-٩٦): عَنْ جَعْفَرِ بْنِ إِيَاسٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [الحجر: ٩٥]، قَالَ: الْمُسْتَهْزِئِينَ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زَمْعَةَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ. فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَكَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرَاهُ أَبَا عَمْرٍو الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَى أَبْجَلِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا؟ فَقَالَ: كَفَيْتَكَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا؟ فَقَالَ: كَفَيْتَكَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى أَخْمَصِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا؟ فَقَالَ: كَفَيْتَكَهُ. فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ، فَأَصَابَ أَبْجَلَهُ فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ

والذي دعا عليه أن يسلط الله عليه كلباً[1]، وأمثال ذلك، قال

فَعَمِيَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: عَمِيَ كَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ، لَا تَدْفَعُونَ عَنِّي؟ قَدْ هَلَكْتُ أُطْعَنُ بِشَوْكٍ فِي عَيْنِي، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ خَرْؤُهُ مِنْ فِيهِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ يَوْمًا حَتَّى دَخَلَ فِي رِجْلِهِ شِبْرِقَةٌ حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهَا فَمَاتَ». هذا لفظ الطبراني.

(١) رواه الحارث في مسنده (٥١١-بغية الباحث)، والبغوي في "معجم الصحابة" (٢١٤١)، والحاكم (٢/ ٥٨٨)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٣٨): من طريق عَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ الْأَزْرَقِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَوْفَلِ بْنُ أَبِي عَقْرَبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدْعُو عَلَيْهِ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ» قَالَ: وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَحْمِلُ الْبَزَّ إِلَى الشَّامِ، وَيَبْعَثُ بِوَلَدِهِ مَعَ غِلْمَانِهِ، وَوُكَلَائِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّ ابْنِي أَخَافُ عَلَيْهِ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ فَيُعَاهِدُوهُ قَالَ: وَكَانُوا إِذَا نَزَلَ الْمَنْزِلَ أَلْزَقُوهُ إِلَى الْحَائِطِ، وَغَطُّوا عَلَيْهِ الثِّيَابَ وَالْمَتَاعَ قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ زَمَانًا، فَجَاءَ سَبُعٌ فَنَشَلَهُ فَقَتَلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا لَهَبٍ، فَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ ؟ ". قال الحاكم: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي.

تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[1] الآية.

فأخبر أنه يعذِّبهم تارة بأيدي المؤمنين، وتارة بعذاب غير ذلك، فكان ذلك مما يوجب إيمان أكثرهم، كما جرى لقريش وغيرهم، فإنه لو أهلكهم كالذين من قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة به عنهم، ولم يبقَ لهم ذرية تؤمن[2]، بخلاف الأول، فإن فيه من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم، والنفوس إذا قدرت[3] لا تكاد تنصرف، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها، فإنه يدعوها إلى التوبة، كما قيل: من العصمة أن لا تقدر.

ولهذا آمن عامتهم، ولم يقتل منهم إلّا قليل، وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة،

---

(١) سورة التوبة: ٥٢.

(٢) في الأصل: (تؤمن به).

(٣) أي: على كمال أغراضها.

كما روي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال عن أبي جهل: "هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ "[1]، في التوراة: ((إني أقسي قلب فرعون، لتظهر آياتي وعجائبي)).

بيّن أن فيه من الحكمة انتشار آياته، الدالة على صدق أنبيائه في الأرض، إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له، وبكتابة التوراة له، فأظهر له من الآيات ما يبقى[2] ذكرها في الأرض، وكان في ضمن ذلك من تقسية[3] قلب فرعون، ما أوجب أن أهلكه وقومه أجمعين، وفرعون كان منكراً لله، جاحداً لربوبيته، لا يُقرُّ به، فلذلك أتى من الآيات ما يناسب حاله.

---

(١) رواه أحمد (٣٨٢٤) و(٤٢٤٦) و(٤٢٤٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٦٠)، والطبراني (٨٤٦٩ و٨٤٧١ و٨٤٧٣)، والبيهقي (٩/ ١٠٦)، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- به. قال الهيثمي في "المجمع" (٦/ ٧٩): " هُوَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ ".

(٢) في الأصل: (يبقي).

(٣) في الأصل: (تقسيته).

وأمَّا بنو إسرائيل مع المسيح، فهم مقرُّون بالكتاب الأول، فلم يحتاجوا إلى مثل ما احتاج إليه موسى، ومُحمدٌ لم يكن محتاجاً إلى تقرير جنس النبوَّة، إذ كانت الرسل قبله جاءت بما يثبت ذلك، وقومه كانوا مُقرِّين بالله، وإنما الحاجة إلى تثبيت نبوَّته، ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم، ومع هذا فلم يأتِ بآيات الاستئصال التي يستحق مكذِّبها العذاب العامَّ العاجل.

فلهذا بيّن الله – تعالى – أنها إذا جاءت لا تنفعهم، [إذ][1] كانوا لا يؤمنون بها، ولكن تضرّهم، ومع وجود المانع، وعدم المقتضي، لا يصلح الفعل، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[2] الآية، فهو يعلم أن قلوب هؤلاء كقلوب أولئك، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ

---

(١) في المخطوط: (إذا)، فأثبت ما في الأصل.

(٢) سورة الإسراء: ٥٩.

مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[1] الآيتين، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[2]، وقال عن أهل الكتاب: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾[3]، وقال: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ﴾ الآيات[4].

ذكره في السورة التي ذكر فيها انشقاق القمر، وإعراضهم عن الآيات، وقولهم: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[5]، وتكذيبهم واتِّباعهم أهواءهم.

وفيها: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾[6] أي: من أنباء الغيب ما يزجر عن الكفر، إذ كان في تلك الآيات

---

(١) سورة الذاريات: ٥٢ – ٥٣.

(٢) سورة البقرة: ١١٨.

(٣) سورة التوبة: ٣٠.

(٤) سورة القمر: ٤٣ – ٤٦.

(٥) سورة القمر: ٢.

(٦) سورة القمر: ٤.

بيانُ صدق الرسول، والإنذار لمن كذّبه بالعذاب، كما عُذب المتقدمون، ولهذا يقول عقيب القصة: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[٢]، أي: كيف عذابي لمن كذَّب رسلي، وكيف كان إنذاري بذلك قبل مجيئه.

وفيها: ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾[٣]، فإن قوم فرعون كذَّبوا بجميع آيات موسى، وجميع آيات الأنبياء قبله، وكذبوا بجميع الآيات الدالة على وجود الرب وقدرته ومشيئته.

ثم قال: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾: أيتها الأمّة ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ ﴾: الذين كذبوا نوحاً وبعده ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾[٤]، وذلك أن كونكم لا تعذبون مثلهم، إما لكونكم خيراً منهم، لا[٥]

---

(١) سورة القمر: ٤.

(٢) سورة القمر: ١٦ و ١٨ و ٢١ و ٣٠.

(٣) سورة القمر: ٤٢.

(٤) سورة القمر: ٤٣.

(٥) في الأصل: (فلا).

تستحقُّون ما استحقوا، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم، فإن ما يفعله الله تارة يُعلم بخبره، وتارة بمشيئته[1] وحكمته وعدله، فإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه، أو من هذا الوجه، هذا إن نُظر إلى فعل الله الذي لا طاقة للبشر به، وإن نُظر إلى قوة الرسول فيقولون: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾[2]، فإنهم أكثر وأقوى، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾[3] الآيتين.

وقوله: ﴿ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾[4] أي: أموالاً ومنظراً، فقال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[5]، أخبر به وهو بمكَّة في قلَّة من الأتباع، ولا يظن أحد بالعادة المعروفة أن أمره يعلو قبل أن

---

(١) في الأصل: (بسنته).

(٢) سورة القمر: ٤٤.

(٣) سورة مريم: ٧٣ - ٧٤.

(٤) سورة مريم: ٧٤.

(٥) سورة القمر: ٤٥.

يهاجر ويقاتل، وكان كما أخبر، فإنهم يوم بدر وغيرها هُزموا، وتلك سنّة الله في المؤمنين والكافرين.

وحيث ظهر الكفار، فلذنوب المسلمين التي نقصت إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾[1] الآية، وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾[2] الآية.

فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة أن لا يهلك هلاك الاستئصال، كالذين من قبلهم، كما قال:﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ﴾[3]، كان لا يأتي بموجب عذاب الاستئصال، مع إتيانه - سبحانه - بما يقيم الحجة، ويوضح المحجة، أكمل في الحكمة والرحمة، إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير، والمنفعة، والهدى، والبيان، والحجة على من كفر، وما

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٥.

(٣) سورة القمر: ٤٣.

امتنع منه دَفَع به من العذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يهتدوا، وكان في إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة، والمنن السابغة، ما لم يكن في رسالة رسول غيره - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

فَصْلٌ

جماع الكلام في النبوة أنه من جنس الكلام في الخبر، فقول القائل: (إني رسول الله إليكم) خبر من الأخبار، وكذلك وصول كلامه وآياته إلينا هو بالأخبار.

والخبر تارةً يكون مطابقاً لمخبَره، كالصدق المعلوم أنه صدق، وتارة لا يكون كالكذب المعلوم أنه كذب، وهذا مع التعمُّد: كذب، ومع اعتقاد أنه صدق: إن لم يكن معذوراً، كالمُفتي بلا اجتهاد يسوغ، والمحدِّث بلا علم: يسمَّى كاذباً - أيضاً، كقوله: "كَذَبَ أَبو السَّنَابِلِ "[1]، وفي قتل عامر: " كَذَبَ

---

(١) أخرجه الشافعي في "الأم" (٥/ ٢٣٩)، وسعيد بن منصور في "سننه" (١٥٠٦)، وأحمد (٤٢٧٤)، والبيهقي (٧/ ٤٠٧)، من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود: أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ وَضَعَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِأَيَّامٍ فَمَرَّ بِهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنِ بَعْكَكٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ فَقَالَ قَدْ تَصَنَّعْت لِلْأَزْوَاجِ إِنَّهَا أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ وَلَيْسَ كَمَا قَالَ إِنَّك قَدْ حَلَلْت فَتَزَوَّجِي». قال البيهقي: "مرسل حسن". وأورده الألباني في "الصحيحة" (٣٢٧٤).

مَنْ قَالَ ذَلِكَ "[1]، وقد تكون المطابقة في عناية[2] المتكلم، وقد يكون في فهم[3] المخاطب، فإذا طابق الأوَّلُ فقط سُمِّي كذباً، وقد لا يسمَّى، ومنه المعاريض، لكن يباح للحاجة، وإن كان الخبر لم يحصل به المقصود، بل يؤمر بالسكوت عنه[4]، فقد يسمَّى كاذباً؛ لقوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[5].

والمقصود هنا: أن الخبر قد يُعلم أنه صدق، أو كذب، وقد لا يُعلم واحد منهما، والعلم بأنه صدقٌ له معنيان:

أحدهما: أن يعلم أنه مطابق لخبره[6] من غير جهة المخبِر.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٦) و(٦١٤٨) و(٦٨٩١)، ومسلم (١٨٠٢) و(١٨٠٧)، عن سلمة بن الأكوع، في حديث طويل.

(٢) في المخطوط: (عنباية)، وهو تحريف، فأثبت ما في الأصل.

(٣) في الأصل: (إفهام).

(٤) في الأصل: (بَلْ يَكُونُ مَأْمُورًا بِالسُّكُوتِ عَنْهُ إِلَّا مَعَ الْبَيِّنَةِ).

(٥) سورة النور: ١٣.

(٦) في الأصل: (لمخبَره).

والثاني: أن يُعلم أن المخبِر به صادق به، وقد يجتمع الأمران، وقول محمد - صلى الله عليه وسلم -: " إني رسول الله" من هذا الباب، كما سنبيِّنه.

وكذلك كونه كذباً قد يراد به أنه على خلاف مخبَره، وإن كان صاحبه لم يتعمد[1]، وقد يعنى به أنه متعمد[2]، ولهذا كانت الأحاديث المعلوم بطلانُها على هذين النوعين. والفاسق المعروف أنه يكذب لابد أن يَصْدق في بعض الأخبار، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[3]، فأمر بذلك؛ لأنه قد يصدق.

فدلَّ على أنه لا يجوز تصديقه بمجرَّد إخباره، ولا يجوز - أيضاً - تكذيبُه، قبل أن يُعرف أنه كَذَب، وهذا كقوله: ﴿ إِذَا

---

(١) في الأصل زيادة: (الكذب).

(٢) في الأصل زيادة: (الكذب).

(٣) سورة الحجرات: ٦.

ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾[1] الآية، فأمر بالتثبت في الجهاد، ولا يقال للمجهول: لست مؤمناً، ابتغاء الدنيا. فيكون إخبارهم عنه خبراً بلا دليل، بل للهوى ليأخذوا ماله، وإن ذلك في دار الحرب إذا ألقى السلم، فقد يكتم إيمانه، كما كنتم – أنتم – كذلك، فلا تقولوا ذلك، بل تثبَّتوا حتى تكشفوا أمره، هل هو صادق أم لا ؟

وهذا خبرٌ يتضمَّن دعوى[2]، فإن المدَّعيَ مُخبِر، والمنكِر مُخبِر، والشاهد مُخبِر، والمُقِرُّ مُخبِرٌ، وكما نهاهم عن تكذيب المدَّعي بلا علم، نهاهم عن تصديق المنكِر المتَّهم، ورمي البريء بلا حجَّة، وتبرئته وتزكيته بلا علم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[3] الآيات.

---

(١) سورة النساء: ٩٤.

(٢) في الأصل: (دَعوى لَهُ).

(٣) سورة النساء: ١٠٥ – ١١٣.

وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف لمن علم منه الخير[1]، فقال: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ إلى قوله: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[3]، وهذا نهيٌ عن التكلُّم بلا علم، وهو عام في جميع أنواع الأخبار، وقد يتناول ما أُخْبِر به الإنسان، وما يعتقده بغير الأخبار من الدلائل، ليس له أن يتكلَّم بلا علم، فلا ينفي إلّا بعلم، ولا يثبت إلّا بعلم، وخص الكلام على الله بقوله: ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

---

(١) في الأصل: لمن عَرَف منه الخبر.

(٢) سورة النور: ١٢ – ١٦.

(٣) سورة الإسراء: ٣٦.

(٤) سورة الأعراف: ٣٣.

ونهى عن اتِّباع خطوات الشيطان، وأخبر أنه يأمر بالقول على الله بلا علم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1] الآيتين، والتي بعدهما.

وكذلك ذمَّ من يجادل ويُحاجُّ بلا علم، بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3] الآية.

وقوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾[4]، يتناول خبر كلَّ فاسق - وإن كان كافراً-، وفي البخاري عنه - صلى الله عليه وسلم -: "إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ،

---

(١) سورة البقرة: ١٦٨ - ١٧٠.

(٢) سورة الحج: ٨، وسورة لقمان: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران: ٦٦.

(٤) سورة الحجرات: ٦.

﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1][2]".

وهذا مأثورٌ عن غيره من الأنبياء، كما جاء عن المسيح أنه قال: ((الأمور ثلاثة: أمر تبيَّن رشدُه فاتبعوه، وأمرٌ تبيَّن غيُّه فاجتنبوه، وأمرٌ اشتبه عليكم فكِلوه إلى عالمه)).

وعامَّة عقلاء بني آدم على هذا، والمدَّعى عليه اذا كان صاحبَ يدٍ أو ذمَّتُه بريئةً، فهو حجَّة ترجِّح جانبه، وضمَّ إليها

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٦.

(٢) حديث (٧٣٦٢)، ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) الآيَةَ** ».

وروى أحمد (١٧٢٢٥) و(١٧٢٢٦)، وأبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان (٦٢٥٧)، عن أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه. ولفظه عند أحمد: " **إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ** "، والحديث أورده الألباني في "الصحيحة" (٢٨٠٠).

الشارع اليمينَ، كما في صحيح البخاري، عن ابن عباس، عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَا ادّعَى رِجَالٌ دِمَاءَ قَوْمٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ"[1].

فإن لم يكن معه إلّا مجرَّد دعواه، فجانبُ المنِكر أقوى؛ [لأن][2] معه: أن الأصل في الأيدي: أنها مُحَقَّةٌ، والأصل: براءةُ الذمة، ولكن قد يكون المدَّعي صادقاً ولا يكون له حجة، وهذا كثيرٌ جدّاً، فلا يُدفع بمجرَّد الأصل، بل يحلف المُنكِر، فتكون يمينُه مع الأصل حجَّة، فيكون إنكار هذا مقابلاً لدعوى هذا، كلاهما خبرٌ لم يُعلم صدقُه [فتعارضا][3]، ويرجح المنكر بالأصل، فيبقى على ما كان، لا يسلم إلّا للمدَّعي ما ادَّعى بمجرَّد دعواه[4]، ولا تنقطع مطالبتُه للمدَّعى عليه، لأنه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٢)، ومسلم (١٧١١) (١)، واللفظ له.

(٢) في المخطوط: (وأن)، فأثبت ما في الأصل.

(٣) في المخطوط: (معارض)، فأثبت ما في الأصل.

(٤) في الأصل: (لا يسلم بحجة للمدعي ما ادعاه بمجرد دعواه).

لم يأت بحجة تدفعه، فإذا حلف المنكر، كانت يمينُه حجَّة، فصلت الخصومة، وقطعت الدعوى.

وإذا لم يأتِ المنكِرُ باليمين، بل نَكَل عنها، ولم يأتِ المدَّعي بحجَّة: وُقُف الأمر عند أكثر العلماء، وعند بعضهم[1]: يقضي على المنكِر بالنكول، فيكون نكوله إما [بدلاً][2] لما طلب، وإما إقراراً به.

والأكثرون يقولون: بل تُردُّ اليمين على المدَّعي الطالب، الذي يقول: إنه يعلم صدق نفسه فيما ادَّعاه، فيقال: احلف وخذ. فإن حلف وأخذ، وإلَّا دُفِعا.

ثم من العلماء من يردُّ اليمين في عامَّة الدعاوي، ومنهم من يحكم بالنكول، وإن كان المنكر يقول: لا أعلم ما ادَّعى به. وكلٌّ من الطائفتين يذكر آثاراً عن الصحابة، والمنقول عن الصحابة يدلُّ على التفصيل، وهو أظهرُ الأقوال، وهو أنه إذا

---

(١) في المخطوط: (أكثرهم)، فأثبت ما في الأصل.

(٢) في المخطوط: (بذلاً)، فأثبت ما في الأصل.

كان المنكر هو العالم دون المدَّعي، كما إذا ظهر في المبيع عيبٌ، وقد بِيع بالبراءة، فقال المشتري: أنا لم أعلم به. فإنه هنا يقال له - كما قال عثمان لابن عمر: ((أتحلف أنك بعته، وما به داء تعلمه ؟))[1]، فإن حلف وإلّا قُضي عليه بالنكول، كما قضى عثمان على ابن عمر.

وإن كان المدَّعي يقول: إنه يعلم ما ادَّعى به، كمن ادَّعى على أحد دَيْناً أو عَيْناً، فقال: أنا لا أعلم ما ادَّعيته، احلف وخذ، فإن لم يحلف لم يُعْط شيئاً. والبيِّنة في الدعاوي هي عند أكثر العلماء: ما يبيّن الحقَّ ويُظهره ويوضِّحه، كالدليل والآية والعلامة، فمتى ترجَّح جانبُ أحدهما حَلف، مثل أن يُقيم

---

(١) أخرجه مالك في "الموطأ" (٢/ ٦١٣-محمد فؤاد)، وعبد الرزاق في "المصنف" (٨/ ١٦٣)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤/ ٣٦٥). وهو أثر صحيح، كما في "البدر المنير" لابن الملقن (٦/ ٥٥٨)، و"إرواء الغليل" للألباني (٢٦٤٠).

المدَّعي شاهداً، فإنه يقضى له بشاهد ويمين، كما مضت به السنَّة[1]، وهذا قول أكثر العلماء.

ومنهم من يقول: اليمينُ دائماً في جانب المدَّعى عليه، وكذلك لو كان في دعوى القتل لَوَثٌ [و][2] لَطْخٌ وشبهه - وهو علاماتٌ ترجِّح جانب المدَّعي-، فإن أولياء المقتول يحلفون خمسين يميناً، ويُقضى لهم بذلك عند أكثر العلماء، [كما][3] مضت بذلك السنَّة[4].

---

(١) روى مسلم (١٧١٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِشَاهِدٍ وَيَمِينٍ ».

(٢) زيادة من الأصل.

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) روى البخاري (٦١٤٢)، ومسلم (١٦٦٩) (٢): أَنَّ مُحَيِّصَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ، انْطَلَقَا قِبَلَ خَيْبَرَ، فَتَفَرَّقَا فِي النَّخْلِ، فَقُتِلَ عَبْدُاللهِ بْنُ سَهْلٍ، فَاتَّهَمُوا الْيَهُودَ، فَجَاءَ أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَابْنَا عَمِّهِ حُوَيِّصَةُ، وَمُحَيِّصَةُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَتَكَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَمْرِ أَخِيهِ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَبِّرِ الْكُبْرَ» ، أَوْ قَالَ: «لِيَبْدَأِ الْأَكْبَرُ»، فَتَكَلَّمَا فِي أَمْرِ صَاحِبِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَقْسِمُ خَمْسُونَ مِنْكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَيُدْفَعُ

وكذلك في اللِّعان إذا حلف الزوج، وشهد أربعَ شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ووكَّدها بالخامسة، فقد أقام بيِّنةً على دعواه، فإن شهدت أربعَ شهادات بالله، مؤكِّدةً بالخامسة أنه لكاذب، تعارضت البيِّنتان والشهادتان، فلم يُحكم بقول أحد منهما، لا بأنه قاذف، ولا بأنها زانية، فإن نَكَلت، فالأكثر يحكمون بأنها زانية، وتُعذَّب، كما دلَّ عليه القرآن؛ لأنه اجتمع شهادة الزوج، ونكولُها، كما اجتمع في القَسَامة العلامة والأيمان، وكما اجتمع الشاهدُ واليمين، وكما اجتمع في جانب المُنكِر الأصلُ واليمين، فهذا ونحوه ممَّا جاءت به الشريعة.

والمقصودُ: أن الخبر إن قام دليلٌ على صدقه أو كذبه، وإلّا بقي مما لا نصدِّقه ولا نكذِّبه، وأهلُ العلم بالحديث إذا قالوا: رواه فلان، وهو مجروح أو ضعيف، فلا يفيد أنه يُحكَم بكذبه،

بِرُمَّتِهِ»، قَالُوا: أَمْرٌ لَمْ نَشْهَدْهُ، كَيْفَ نَحْلِفُ؟ قَالَ: «فَتُبْرِئُكُمْ يَهُودُ بِأَيْمَانِ خَمْسِينَ مِنْهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، قَوْمٌ كُفَّارٌ؟ قَالَ: فَوَدَاهُ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ قِبَلِهِ، قَالَ سَهْلٌ: فَدَخَلْتُ مِرْبَدًا لَهُمْ يَوْمًا فَرَكَضَتْنِي نَاقَةٌ مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ رَكْضَةً بِرِجْلِهَا. اللفظ لمسلم.

بل قد يُحكَم بصدقه، فلا يكذَّب إلّا بحجَّة. وإذا قالوا - عن حديث -: أنه ضعيف، فمرادهم: أنه لم يثبت، ولم يُحتجَّ به، ولا يجوز الحكمُ بصدقه. ليس مرادهم: أنه بمجرَّد ذلك يُحكَم بكذب الناقل، ونفي ما نقله، بل إن قام دليلٌ على انتفاء ما أخبر به حكمنا بذلك، [وإلا سكتنا][1]، لم ننفِه ولم نثبتْه.

فهذا أصلٌ يجب معرفتُه، فإن كثيراً من الناس لا يميِّز بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه، وبين ما لم يثبته لعدم دليل إثباته، فينفي ما ليس له به علم، ويقولون بأفواههم ما ليس لهم به علم، وهذا في كثير من أهل الاستدلال والنظر، وأهل الإسناد والخبر، فإن كثيراً ما يكون للإنسان دلائلُ كثيرة، تدلُّ على صدق شخص معيَّن.

وهذا - أيضاً - مما يغلط فيه كثير، إذا لم يجدوا ما يوجب العلم، جعلوا غيرهم كذلك، من غير علم منهم بانتفاء أسباب العلم عند ذلك الغير، وقد يقيمون حججاً ضعيفة أن غيرهم

---

(١) في المخطوط: (وإلا شككنا)، فأثبت ما في الأصل.

لا يعلم ذلك، مثل ما يفعله كثيرٌ بالنظر والاستدلال، ومن لم يساوهم في نظرهم وقوَّة أذهانهم لا يعلم ما علموه، وكثيرٌ من الناس يعلم بالأخبار والنقل والاستدلال بذلك أموراً كثيرة، ومن لم يشاركهم فيما سمعوه، وفيما عرفوه من أحوال المخبرين والمخبر به، لا يعلم ما علموه.

فلهذا، كان لأهل النظر العقلي طرقٌ لا يعرفها أهلُ الأخبار، ولأهل الأخبار السمعية طرقٌ لا تُعرَف بمجرَّد العقول، ولهذا كان لهؤلاء من الطرق الدالَّة على صدق الرسول ونبوَّته، والاستدلال على ذلك أمورٌ كثيرة لا يعرفها أهل الأخبار، وعند أهل الأخبار من الأحاديث المتواترة عندهم، والآيات المستفيضة، ما يعرفون بها صدق الرسول، وإن كان أولئك لا يعرفونها.

والناس يعرفون أن خبر الواحد قد يقوم الدليل على كذبه، فيعلم أنه كذب وإن أخبر به ألوف، إذا كان خبرُهم على غير علم، أو عن تواطئ، مثل: إخبار أهل الاعتقادات الباطلة بها،

وأما إذا أخبروا عن علم منهم، فهم صادقون في نفس الأمر، ويُعلم صدقُهم تارةً بتواتر أخبارهم من غير مواطأة، ولو كانا اثنين، فإن الاثنين إذا أخبروا بخبر طويل، أسندوه إلى علم، وقد عُلم أنهما لم يتوطآ عليه، ولا هو مما يتفق - في العادة - تماثلُهما فيه في الكذب أو الغلط: عُلم أنه صدق.

وقد يُعلم صدقُ الخبر الواحد بأنواع من الدلائل، وبقرائن تقترن به، تكون صفات في المخبر من علمه، ودينه، وتحرِّيه الصدق. وتكون صفات في الْمُخْبَر به مختصَّة بذلك الخبر، أو بنوعه، كحاجب الأمير وإذا قال بحضرته لعسكره: أن الأمير قد أذن لكم في الانصراف، و[1] أمركم أن تركبوا غداً، و[2] أمَّر عليكم فلاناً، ونحو ذلك.

فإن العادة كما قد تمنع التواطئ على الكذب، فإنها قد تمنع التواطئ على الكتمان، وإقرار الكذب، فما توفَّرت الهمم

(١) في الأصل: (أو).

(٢) في الأصل: (أو).

والدواعي على ذكره، يمتنع أن يتواطأ أهلُ المكان[1] على كتمانه، كما يمتنع في العادة أن تحدث حادثة عظيمة تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، في الحج، أو الجامع، أو العسكر.

فإذا كانت [من][2] القضايا التي يمتنع السكوتُ عن إظهارها، فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشدُّ امتناعاً.

وقد تكون الدلائل صفاتٍ فيه تقترن بخبره، فإن الإنسان قد تُرى حُمرة وجهه، فَتُميِّز[3] بين حُمرته من الخجل والحياء، وبين حُمرته من الحمى وزيادة الدم، وبين حُمرته من الحمَّام، وبين حُمرته من الغضب.

---

(١) في الأصل: (التواتر).

(٢) زيادة من الأصل.

(٣) في الأصل: (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرَى حُمْرَةَ وَجْهِهِ فَيُمَيِّزُ بَيْنَ حُمْرَتِهِ مِنَ الْخَجَلِ وَالْحَيَاءِ ...).

وكذلك يميِّز بين صفرته من الفزع، [وبين][1] صفرته من المرض، كما أن سخنته[2] ووجهه يُعرف بها أحوالُ بدنه، حتى إن الأطبَّاء الحذَّاق يعلمون حال المريض من سخنته[3]، فلا[4] يحتاجون مع ذلك إلى نبض[5] وقارورة.

وكذلك تُعرفُ أحوالُه النفسانيّة، هل هو فَرِح؟ أو محزون؟ وهل هو مُحبٌّ مُريد للخير؟ أو هو مُبغضٌ مُريد للشَّرّ ؟

كما قيل:

تُحدِّثني العينان ما القلب كاتم.

وقال الآخر:

والعين تنظر من عيني محدِّثها

هل كان من حزبها أو من أعاديها.

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) في الأصل: (سَحْنته) ومعناه: الهيئة واللون والحال.

(٣) في الأصل: (سَحْنته).

(٤) في المخطوط: (لا)، فأثبت ما في الأصل.

(٥) في المخطوط: (نقض)، فأثبت ما في الأصل.

وكما قيل:

ولا خَيْرَ في الشحناء وفي النظر الشزر.

ثمّ إذا تكلَّم مع ذلك، دلَّ كلامه على أبلغ مما تدلُّ عليه سيما وجهه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[1]، فأخبر أنه لابد أن يعرف المنافقين في لحن القول، وأن معرفتهم بالسيما معلقة بالمشيئة.

وفي حق المؤمنين: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[2]، وفي حق الكافر: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[3] أي: له زَنَمة من الشر، أي: علامة يُعرَفُ بها، وقد رُوي عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أنه قال: ((**مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبْدَاهَا اللهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ**))[4].

---

(١) سورة محمد: ٣٠.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

(٣) سورة القلم: ١٣ .

(٤) ذكره شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (١٤/ ١١٠)، وابن مفلح

وقد بسطنا الكلام على هذا في مسائل الإيمان، وبيَّنَّا أن ما يقوم بالقلب من تصديق، وحب الله ورسوله وتعظيم، لابُدَّ أن يظهر على الجوارح، وبالعكس.

ولهذا استدل بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن، كما في الصحيح:" [أَلَا][1] **إن فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ** ..."[2] الحديث.

وكما قال عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- للعابث في صلاته: ((**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ**))[3].

في "الآداب الشرعية" (١/ ١٣٦)، وابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " (٧/ ٣٢١). ولم أجد من رواه مسنداً.

(١) زيادة من الأصل.

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) (١٠٧)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، ولفظه: " **أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** ".

(٣) ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله- في غير كتاب من كتبه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر: "مجموع الفتاوى" (١٨/ ٢٧٣)،

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾[3]الآية.

فإن الإرادة التي في القلب [مع القدرة][4] توجب فعل المراد، والسفر في غزوة بعيدة لا يكون إلّا بعُدّة، ومن هذا قولُ عثمان لعمر، في المرأة التي أقرَّت بالزنا: ((إِنِّي أَرَاهَا تَسْتَهِلُّ بِهِ

و(٢٢/ ٥٥٤)، و"درء تعارض العقل والنقل" (٧/ ٢٤). ولم أجده مسنداً. ويروى مرفوعاً، ولا يصح، انظر: "إرواء الغليل" (٣٧٣).

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة المائدة: ٨١.

(٣) سورة التوبة: ٤٦.

(٤) زيادة من الأصل.

اسْتِهْلَالَ مَنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ حَرَامٌ))، ووافقه عمر وعليٌّ وغيرهما على ذلك[1].

والرجل الصادق البَرُّ يظهر على وجهه من نور صدقه، وبهجة وجهه سِيما يُعرَفُ بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلَّما طال عُمُر الإنسان ظهر هذا فيه، حتى إن الرجل في صغره جميلُ الوجه، فيظهر في آخر عمره من قبح وجهه ما أثَّره باطنه وبالعكس، وروي عن ابن عباس أنه قال: ((إِنَّ لِلْحَسَنَةِ لَنُوراً فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ لَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ، وَسَوَاداً فِي الْوَجْهِ، وَوَهَناً فِي الْبَدَنِ، وَبَغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ))[2].

---

(١) رواه الشافعي في "الأم" (١/ ١٧٨)، وعبد الرزاق (٧/ ٤٠٣ و٤٠٤)، والبيهقي (٨/ ٤١٥)، والخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" (٢/ ٣٩٢)، وابن شبة في "تاريخ المدينة" (٣/ ٨٥١-٨٥٣/ شلتوت).

(٢) ذكره ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١٠/ ٦٣٠)، وفي "منهاج السنة" (٣/ ٢٧)، وابن القيم في "الجواب الكافي" (ص٥٤-المعرفة)، وفي "روضة المحبين" (ص٤٤١-الكتب العلمية)، و"مدارج السالكين" (١/ ٤٢٣-الكتاب العربي). ولم أجده مسنداً.

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب، لكن يعتقد اعتقادات باطلة، في الله، وفي رسله، أو في دينه، وعباده الصالحين، ويكون له زَهادة، وعبادة، واجتهاد في ذلك، فيؤثر ذلك الكذب الذي ظنّه صدقاً وتوابعُه في باطنه، ويظهر ذلك على وجهه، فيعلوه من القَتَرة والسواد ما يناسب حاله، كما قال بعض السلف: " لَوِ ادَّهَنَ صَاحِبُ الْبِدْعَةِ كُلَّ يَوْمٍ بِدِهَانٍ، إِنَّ سَوَادَ الْبِدْعَةِ لَفِي وَجْهِهِ "[1].

وهذه تظهر يوم القيامة ظهوراً تاماً، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾[2]

---

(١) رواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٢٨٤)، والهروي في "ذم الكلام وأهله" (١٠١٦)، عن عبد الله بن المبارك رحمه الله، ولفظه: «صَاحِبُ الْبِدْعَةِ عَلَى وَجْهِهِ الظُّلْمَةُ - وعند الهروي: غُبَارٌ-، وَإِنِ ادَّهَنَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثِينَ مَرَّةً».

(٢) سورة الزمر: ٦٠ – ٦١.

الآيتين، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[1] الآيتين.

والمقصود: أنَّ ما في القلوب من قصد الصدق، والمحبَّة، والبر، ونحو ذلك، قد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علماً ضرورياً من أبلغ العلوم الضرورية، وكذلك العكس.

والإنسان يوافق في سفره من لم يره إلّا تلك الساعة، فلا يلبث إذا رآه إلّا مدة وسمع كلامه، أن يعرف هل هو مأمون، أو ليس كذلك؟ وقد يشتبه عليه في أول الأمر، وربما غَلِط، لكن العادة الغالبة أنه يتبيَّن ذلك بَعْدُ لعامَّة الناس.

وكذلك الجار يعرف جاره، والمُعَامل يعرف معامله، ولهذا لما شهد عند عمر ابن الخاطب رجل، فزكَّاه آخر، قال له: "هل أنت جاره الأدنى، تعرف مساويه ومحاسنه؟" قال: لا. قال:

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧.

"هل عاملته في الدرهم والدينار، الذي يمتحن بهما أمانات الناس؟"، قال: لا. قال: " فلست تعرفه "(١).

وروي أنه قال: ((لَعَلَّكَ رَأَيْتَهُ يَرْكَعُ رَكَعَاتٍ فِي الْمَسْجِدِ))(٢).

---

(١) رواه البيهقي (١٠/ ٢١٤-٢١٣)، وأبو طاهر المخلص في "المخلصيات" (٣٤٩-نبيل سعد)، والعقيلي في "الضعفاء" (٣/ ٤٥٤)، والخطيب البغدادي في "الكفاية" (ص٨٣). وفي إسناده الفضل بن زياد. قال العقيلي: " الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ شَيْبَانَ، لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهَذَا وَفِيهِ نَظَرٌ ". والأثر صححه الألباني في "إرواء الغليل" (٢٦٣٧)، بناءً على توثيق أبي زرعة الرازي والخطيب البغدادي للفضل بن زياد، ورواية جماعة من الثقات عنه. كما صححه قبلُ ابنُ السكن كما في "التلخيص الحبير" (٤/ ٤٧٤)، وحسن إسناده ابن كثير في "الإرشاد" كما في "سبل السلام" للصنعاني (٢/ ٥٨٤).

(٢) رواه ابن قتيبة في "عيون الأخبار" (٣/ ١٧٨-الكتب العلمية)، وأحمد بن مروان الدينوري في "المجالسة وجواهر العلم" (٧٠٨)، وأبو محمد الخلدي في "الفوائد والزهد والرقائق والمراثي" (٨-الصحابة) من طريقين منقطعين عن عمر، بمعناه.

وذلك أن المنافق قد يُظْهِر الصلاة، فمن لم يَخْبُره لا يعرف باطنه، فإذا كان كذلك، فمن نبَّأه الله واصطفاه لرسالته، كان قلبه من أفضل القلوب صدقاً وبرّاً، ومن افترى على الله الكذب، كان قلبه من أشرِّ القلوب كذباً وفجوراً، كما قال ابن مسعود: ((إِنَّ اللهَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِرَسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم -، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاتَّخَذَهُمْ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ [وَإِقَامَةِ دِينِهِ][1]، فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ حَسَنٌ، وَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ سَيِّئاً فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ سَيِّءٌ))[2].

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) رواه أحمد (٣٦٠٠)، والبزار (١٨١٦)، والآجري في "الشريعة" (١١٤٤) و(١١٤٥) و(١١٤٦). قال الهيثمي في "المجمع" (١/ ١٧٨): "رجاله موثقون". وجوَّد إسناده ابن كثير في "تحفة الطالب" (ص٣٩١)، وحسنه الحافظ ابن حجر في "الأمالي المطلقة" (ص٩٥-السلفي)، وكذا الألباني في "الضعيفة" (٢/ ١٧، تحت رقم٥٣٣).

وقال – أيضًا –: ((مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسَتَنّاً فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ: أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوباً، وَأَعْمَقُهَا عِلْماً، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفاً، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ))[1].

وإذا كان من أعظم، بل أعظم أهل زمانه صدقاً وبرّاً، فلابدَّ أن يظهر على فلتات لسانه، وصفحات وجهه، ما يناسب ذلك، كما أن الكاذب الكافر لابد أن يُرى ويظهر عليه ما يناسبه، وهذا يكون تارةً حين إخباره، وتارةً في غير تلك الحال، فإن الرجل إذا جاء، وقال: إن الأمير أرسلني إليكم بكذا. فقد يقترن مِن كيفيته وحاله ما يُعلم به أنه صادق أو كاذب، وإن كان معروفاً قبل ذلك بالصدق أو الكذب، كان ذلك دلالة أخرى، وقد يكون ممن يكذب، ولكن يُعرف أنه

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٨١٠-الزهيري)، والهروي في "ذم الكلام" (٧٤٦-الشبل).

صادقٌ في ذلك الخبر، دَعْ من يستمرُّ على عادة واحدةٍ بضعاً وعشرين سنة مع أصناف الناس واختلاف أحوالهم.

ومما ينبغي أن يُعلَم أن الناس تختلف أحوالُهم في المعرفة والاستدلال في جميع [المعارف][1]، فقد يتفطَّن الإنسان لدلالة لا يتفطَّن لها غيرُه، وقد يتبيَّن له ما يخفى على غيره، حتى الأنبياء يتفاضلون ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾[2] إلى آخره.

المقصود: أن العلم بصدق الصادق، وكذب الكاذب، كغيرهما من المعلومات قد يكون ضروريّاً، وقد يكون نظريّاً، وهو ليس من الضروريات الكليَّة الأولية، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين، بل من العلم بالأمور [المعيَّنة][3]، كالعلم بحمرة الخجل، وصفرة الوَجَل، وعدل العادل، وظلم الظالم،

---

(١) في المخطوط: (العبادات)، فأثبت ما في الأصل.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٨ – ٧٩.

(٣) في المخطوط: (الغيبيّة)، فأثبت ما في الأصل.

مما يعرفه الخبيرُ به علماً ضروريّاً، وإذا كان استدلاليّاً، فالمعرفةُ بالعلم لا تحصل بمجرَّد وجود الدليل في نفس الأمر، بل لابدَّ من معرفة القلب به، والناس يتفاوتون في ذلك.

وإذا [قال][1] القائل: إنِّي رسول الله، إمَّا أن يكون من خيار الناس، وأصدقهم، وأبّرهم، وأفضلهم، إن كان صادقاً. وإمَّا أن يكون من شرار الناس، وأكذبهم، وأفجرهم، إن كان كاذباً. فالفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة، لا تكاد تنضبط، وقد تحصل المعرفة عند سماع خبر هذا، ورؤية وجهه، وسماع كلامه، وما يلزم ذلك، ويقترن به من بهجة الصِّدقِ، ونُورِهِ، ومن ظُلمةِ الكَذِبِ، وسَوادِهِ، وقُبْحِهِ.

فتبيّن بذلك أن كثيراً من الناس يحصل لهم عِلْمٌ ضَروريٌّ بأن هذا النَبيَّ صادقٌ، وهذا [المتنبيَّ][2] كاذبٌ بمثل ذلك، من قَبْلِ أن يَرَوا خَارِقاً.

---

(١) في المخطوط: (كان)، فأثبت ما في الأصل.

(٢) زيادة من الأصل.

وقولُ بعض المتكلِّمين: ما لم يكن خارقاً للعادة. فلا [اختصاص][1] للنبيِّ به، فيقال له: لفظُ (خرق العادة) مجمل، فإن [تعين][2]دعوى النبوَّة صدقاً أو كذباً ليس معتاداً، ولم يقع إلّا في أفرادٍ من العالم، وهو أقلُّ بكثيرٍ من الأخبار بالمغيَّبات، فإن هذا أكثر في الوجود من دعوى النبوة، فإن كلَّ نبيٍّ يخبر بها، وليس كلُّ من أخبر بها [كان][3] نبيّاً، وهؤلاء الذين يقولون هذا، يقول أكثرهم أو كثيرٌ منهم: إن دعوى النبوَّة، والتحدِّي، والمُعْجِز، مجموعها هو المختصُّ بالنبيِّ. وإلّا فهم يقولون: إن ما كان معجزة للنبيِّ جاز أن يظهر على يد وليّ، أو ساحر، وإنما الفرق التحدي وعدم المعارضة.

ومنهم من ينكر خرق العادة أن تظهر على يد غير نبيّ، ومنهم من لا يفرِّق بين الوليِّ والساحر، إلّا بِبِرِّ هذا، وفجور هذا، ومنهم من يَطْرِد ذلك في النبيِّ، لا سيما متفلسفة اليونان،

---

(١) في المخطوط فراغ في هذا الموضع، فأثبت ما في الأصل.

(٢) زيادة من الأصل، وفي بعض نسخ الأصل كلمة (نفس).

(٣) زيادة من الأصل.

فإنهم من أجهل الناس بأمر النبوَّة، إذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الأنبياء، وبما جاؤوا به من الآيات والعلم بصفاتهم، وإنما أخذوها من القياس على المنامات، وإذا كان هذا قول هؤلاء النُّظَّار أهل الكلام، فمجرَّد خارق العادة - عندهم - ليس وحده مستلزماً للنبوَّة، حتى يكون وحده دليلاً، بل لابدَّ أن ينضمَّ إلى ذلك التحدِّي وعدم المعارضة.

ولهذا لما اختلف قولُ طائفة منهم، كأبي الحسن وأتباعه، هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب ؟ فقيل: لا يجوز؛ لأنه عَلَم للنبوَّة، فيمتنع أن يتخلَّف عنه مدلوله، كسائر الأدلَّة. وقيل: بل يجوز، ولكن الله لا يفعله.

وجَمَعَ من جمع بينهما: بأن مجموع ما يدلُّ على النبوَّة - هو الخارق السالم عن المعارض - يمتنع أن يكون لغير نبيٍّ، بخلاف جنس الخارق.

فقيل له: هذا الامتناع إما أن يكون عادياً، أو لاستلزامه العجز عن تصديق النبيِّ، وذلك ممتنع، فإذا كان ممتنعاً

لاستلزامه أمراً ممتنعاً، وإذا كان انقلاب العادة ليس عندك ممتنع، فلابدَّ من ذلك الجواب، وهو القول: بأنَّا نعلم ضرورةً أن ذلك لم يكن. فإذا علمت أن هذا علم ضروري، وأن العلم بدلالتها على الصدق أمر ضروري، كالمثل الذي ضربته في إرسال الملك رسولاً، وقول رسوله: إن كنت صادقاً فغيِّر عادتك بقيامك، ثم قعودك، ففعل ذلك[1]، [فإن ذلك][2] يوجب العلم الضروري بصدقه.

وقيل لك: المَلِك تعلم عادته، ويعلم أنه يفعل ذلك للتصديق، والربُّ عندكم لم يخلق شيئًا لشيء.

فقلت: بل يخلق شيئاً مقارناً لشيء، كالعاديات، وهذا منها. فقيل لك: العاديات[3] قد تكرَّرت. فقلت: قد يَعْلَمُ[4] ذلك بلا

(١) أي: عقب سؤال الرسول.

(٢) زيادة من الأصل.

(٣) في الأصل: (العادات).

(٤) في الأصل: (نَعْلَمُ).

تكرُّرٍ. وتجعل ذلك من باب الدلالة الوضعية، كدلالة اللفظ على قصد المتكلِّم.

وقلت: قد تكلم بقصده[١] اضطراراً من غير [سبق][٢] مُوَاضَعة، وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت أنه يُعلم بها صدقُ الرسول - وإن كانت حقّاً - فالجمهور[٣] يقولون: إنك لن[٤] تقرَّ بلوازمها من كونه يفعل لأجل كذا، ويقولون: القول بأن[٥] خلق المعجزة لأجل التصديق، مع القول بأنه لا يخلق شيئًا لأجل شيء تناقض[٦]!. فقلت: لا يُشترط في العلم الضروري العلم بأنه يفعل كذا لأجل كذا. فقيل لك: هب أنه كذلك، لكن لا يحصل العلم الضروري مع العلم بما يناقضه.

---

(١) في الأصل: (نعلم قصده).

(٢) فراغ في المخطوط، فأثبت ما في الأصل.

(٣) في الأصل: (فجمهور الناس).

(٤) في الأصل: (لم).

(٥) في الأصل: (بأنه).

(٦) في الأصل: (تناقضاً).

والمقصود: أن ما يذكره هؤلاء وأمثالُهم من النُّظّار، بل وعامَّة الناس، هم فيما يثبتونه[1] أسدُّ منهم وأصوبُ فيما ينفونه، لأن الغلط فيما ينفيه الإنسان ويكذبه، أكثر من الغلط فيما يثبته ويصدِّق به، ولهذا قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[2]، ولهذا تجد من سلك طريقاً في إثبات العلم بالله، أو بالنبوّة، أو بالمعاد، أو غير ذلك، وقال: لا طريق إلّا هذا، يخطىء في النفي أكثر من خطأه في الإثبات، ومنهم هؤلاء، فإنهم [قد][3] ينفون من الطرق والعلم ما يعلمه غيرهم بالاضطرار، ويثبتون ما يقولون أنه معلوم بالاضطرار، وقد يكون غيرهم أصوبَ فيما يثبته منهم فيما ينفونه، بل وفيما يثبتونه.

---

(١) أي: من العلم والحقائق المعلومة.

(٢) سورة يونس: ٣٩.

(٣) زيادة من الأصل.

ولهذا إن الذين اتفقوا أنه لا طريق إلّا المعجزات، تنوَّعوا في وجه دلالتها، فيثبت هؤلاء وجهاً يستدلُّون به، وينفون طريق غيرهم، وبالعكس. فإذا قالوا: ما سوى الخارق لا يختص بالنبيِّ، فلا يدلُّ على نبوته؟!

قيل لهم: الدليل هو الذي يكون مستلزماً للمدلول، ولفظُ الخارق مجملٌ، وحينئذ فنفس إنباء الله للنبيِّ، واصطفائه لرسالته من الخوارق، واقتداره على التلقِّي من المَلَك، من المعجزات التي أعجز الله الخلق أن يفعلوه، وهذا أجلُّ وأعظم من غيره، والمستلزم لهذا الخارق لا يكون إلَّا خارقاً، وهو الدليل، إذ يثبت[1] من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم، ومن انتفائه انتفاؤه، والمعتاد الذي يوجد بدون النبوَّة [لا يكون دليلاً][2]، وأمَّا ما لا يوجد إلَّا إذا وُجدت النبوَّة، فهو دليل.

(١) في الأصل: (يلزم).

(٢) زيادة من الأصل.

فقد تبيّن أن كل ما يدلُّ على صدق الرسول، [وهو][1] خارقٌ للعادة، يكون آيةً على صدقه، وأمّا ما كان خارقاً للعادة، ولا يستلزم النبوَّة، فليس دليلاً. وقد يكون الشيء المعتاد[2] بدون النبوَّة، ومع النبوة يكون خرقاً؛ لأن النبوة خرقٌ [للعادة][3]، فلا يكون مستلزماً لها [إلّا خارق للعادة][4].

فقول القائل: لا يُعلم صدقُه إلّا بالمعجزة، وهو الخارقُ [للعادة][5]، إن أراد المعنى العام، وهو ما يستلزم صدقه، بطل تخصيصُه بما يخلقه منفصلا عنه [من الآيات][6]، وإن أراد نوعاً مخصوصاً، مع اشتراك الجميع في الدلالة، ظهر بطلانُ قوله[7].

---

(١) في المخطوط: (فهو)، فأثبت ما في الأصل.

(٢) في الأصل: (معتاداً).

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) في المخطوط: (إلا خاوت) وهو تحريف.

(٥) زيادة من الأصل.

(٦) زيادة من الأصل.

(٧) أي: نفيه.

وأما ما يوجد بدونها، كما يوجد معها، كالتي تكون للصادق والكاذب[1]، فهذا لا يدل، والتي يظهرها على يد النبيِّ، من الأنواع التي بها يُعرَفُ صدقُه، ليس فيها شيء يكون للكاذب، [بل الكاذب][2] لا يكون له من الأدلة إلّا ما يستلزم كذبه، فكلما يدل على كذب الكاذب، لا يدل على صدق الصادق، وبالعكس، فإن دليل الكذب مستلزم له، ودليل الصدق مستلزم له، وهما ضدَّان لا يجتمعان.

وهذه القاعدة يُنتفَع بها في مواضع:

منها: أن كثيراً من الناس إذا رأوا الكاذب، وسمعوا كلامه، تبيَّن لهم كذبُه، تارة: بعلم ضروري، وتارة: باستدلالي، وتارة: بظنٍّ قوي. وكذلك النبيُّ الصادق، إذا رأوه وسمعوا كلامه، تبيَّن لهم صدقُه بعلم ضروري، أو نظري، وقد يكون أولاً بظنٍّ قوي، ثم يقوى حتى يصير يقينًا، كما في العلوم

---

(١) أي: في دعوى النبوة.

(٢) زيادة من الأصل.

بالأخبار المتواترة والتجارب. وهذه الطريق سلكها طوائف، منهم: القاضي عياض. قال: ((إذا تأمَّل المنصفُ من جميل أثره، وحميد سيرته، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يُمْتَرَ في صحة نبوَّته)). قال: ((وقد كفى هذا غيرُ واحد. فرُوِّينا عن الترمذي، أن عبد الله بن سلّام قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْمَدِينَةَ جِئْتُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ))، رواه غير واحد، عن عوف الأعرابي، عن زرارة ابن أبي أوفى عنه[1] وعن أبي رمثة قال: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَمعِي ابْنٌ لِي، فَأُرِيتُهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ، قُلْتُ: هَذَا نَبِيُّ اللهِ))[2].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٧٨٤)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤) و(٣٢٥١)، من طرق عن عوف به. وقال الترمذي: "حديث صحيح". ورواه الحاكم (٣/ ١٤) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وكذا الألباني، كما في "الصحيحة" (٢/ ١١٣رقم٥٦٩).

(٢) رواه الدارمي (٢٤٣٣)، وعبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (٧١١١)، والترمذي في "الشمائل المحمدية" (٤٢-إحياء التراث)،

وفي صحيح مسلم[1] أن ضِماداً قدم مكة، وكان يرقي من هذه الريح، فسمع إن محمداً مجنون. قال: فَأَتَيْتُهُ. فَقُلْتُ: إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَّ شَفَى عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ. فَهَلَ لَكَ؟ فَقَالَ[2]: ((**إِنَّ الْحَمْدَ للهَّ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِ اللهُّ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**))، فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ! فَأَعَادَهُنَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: ((لَقَدْ سَمِعْتُ بِقَوْلِ الْكَهَنَةِ، وَالسَّحَرَةِ، وَالشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدَ بَلَغْنَ قامُوسَ الْبَحْرِ، هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَبَايَعَهُ. فَقَالَ[3]: ((**وَعَلَى قَوْمِكَ؟**))، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي.

والحاكم (٢/ ٦٦٤) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في "مختصر الشمائل" (٣٦).

(١) حديث رقم (٨٦٨).

(٢) أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن جامع ابن شداد قال: ((كان رجل منَّا، أخبر أنه رأى النبيَّ – صلى الله عليه وسلم– بالمدينة، فقال: هل معكم شيء تبيعونه ؟)) قلنا: هذا البعير. قال: ((بِكَم؟))، قلنا: بكذا وكذا، وِسقاً من تمر، فأخذ بخطامه، وسار إلى المدينة، فقلنا: بعنا من رجلٍ لا ندري من هو؟ ومعنا ظعينة، فقالت: أنا ضامنة[١]، رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر، لا يخيس بكم))[٢].

وفي خبر الجَلَنْدِي مَلِك عمان[٣]: لما دعاه إلى الإسلام، قال[٤]: ((والله لقد دلَّني على هذا النبيِّ الأمِّي، أنه لا يأمر بخير إلّا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلّا كان أول تارك له،

(١) في الأصل: (أَنَا ضَامِنَةٌ لِثَمَنِ الْبَعِيرِ).

(٢) رواه ابن ابي شيبة في "مسنده" (٨٢٢)، والمروزي في "زوائد الزهد" (١١٦٤)، وأبو يعلى في "المفاريد" (١٠٩)، وابن حبان (٦٥٦٢)، والحاكم (٢/ ٦٦٨) وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في "الصحيحة" (٩٨٩)، و"التعليقات الحسان" (٦٥٢٨).

(٣) في الأصل: (غسان).

(٤) أي: الجَلَنْدِي.

وأنه يَغْلِبُ فلا يبطر، ويُغْلَبُ فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز بالوعد، وأشهد أنه نبيٌّ)).

وقال نفطويه في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[1]، هو مَثَلٌ للنبيِّ، يقول: يكاد منظرُه يدلُّ على نبوَّته، وإن لم يتلُ قرآناً، كما قال ابنُ رواحة:

لو لم يكن فيه آياتٌ مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

قلت[2]: وإيمان خديجة، وأبي بكر، وغيرهما من السابقين الأولين، كان قبل انشقاق القمر، وإخباره بالغيب، وتحدِّيه بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن، الذي هو نفسُه آيةٌ [مستلزمةٌ لصدقه][3]، ونفسُ إخباره: أني رسول الله، ممَّا يُعرَف من أحواله، مستلزمٌ لصدقه، إلى غير ذلك من آيات الصدق، بل خديجةٌ لها كلام: ((وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ

---

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) أي: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله.

(٣) زيادة من الأصل.

لَتَصِلُ الرَّحِمَ ...))[1] إلخ، فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره، وتلاعب الشيطان به.

وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخبرهم[2]، فلمّا تبيَّن له حاله، علم علماً ضرورياً أنه نبيٌّ صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً علماً وحالاً.

وكذلك (هرقل) لَمَّا سأل عن تلك المسائل وأجابه أبو سفيان، استدلَّ بذلك على نبوَّته، وذلك استدلال على نعته، فإن الناس في النبوَّة على درجات: منهم من يحتاج إلى أن يعلم جنس النبوّة، فلا يكذب بجنس الرسل من البشر، كقوم نوح وغيرهم، ولهذا يقول تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3]، لأن تكذيبهم لجنس الرسل.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠) (٢٥٢)، عن عائشة رضي الله عنها، في حديث طويل.

(٢) في الأصل: (أخيرهم).

(٣) سورة الشعراء: ١٠٥.

وهؤلاء يخاطبهم الله في السور المكيّة كقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾[1] الآية، فاحتج بإنزال كتاب موسى، لما تواتر من خبره من الآيات الباهرات، والإنجيل تبعٌ للتوراة، ثم قال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾[2] الآية، لما قام من الآيات الدالة على نزوله.

ولهذا يَذْكُر - تعالى - في المكيَّات من تثبيت أمر الرسل[3] وآياتهم، وحُسن عاقبتهم، وضلال مخالفيهم، وسوء عاقبتهم، ما فيه عبرة.

ومن الناس من يُقرُّ بالرسل في الجملة، لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة إرسالهم، كالملاحدة وأهل البدع، والذين يعظِّمون الأنبياء، مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما

---

(١) سورة الأنعام: ٩١.

(٢) سورة الأنعام: ٩٢.

(٣) في المخطوط: (الرسالة)، وما أثبته من الأصل.

جاؤا به، لشبهة[1] انعقدت في قلوبهم، ظنُّوها عقليات، فيحتاجون إلى أن يوافقوا [بينهما][2]، وهؤلاء يشبهون الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، إلى قوله: ﴿بَلِيغًا﴾[3].

وقد أخبر الله أنه جعل للأنبياء من [يعاديهم][4] من الإنس والجن، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[6] الآية.

---

(١) في الأصل: (لشبهات).

(٢) زيادة من الأصل.

(٣) سور النساء: ٦٠ - ٦٣.

(٤) زيادة من الأصل.

(٥) سورة الأنعام: ١١٢ - ١١٥.

(٦) سورة الفرقان: ٣١.

[ما جاء في أصناف المخالفين للرسل]

الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل ثلاثة أصناف:

أهل [التخييل][1] من المتفلسفة، وأهل التأويل: الذين يؤوِّلون كلامهم على مرادهم، وأهل [التجهيل][2] الذين يقولون: معناها لا يعلمه الرسول ولا غيره، وإنما يعلمه الله وحده.

وأمَّا من قال: إن الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي بيَّنه الله بكلامه، ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لا يعلمونه، كما استأثر بعلم الساعة، وهذا[3] قول السلف والأئمة.

والمقصود: أن الكلام في النبوَّات تارةً في جنسها، وتارة في [شخص النبيِّ][4] المعيَّن، وهرقلُ لم يكن محتاجاً إلى الإيمان

---

(١) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٢) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٣) في الأصل: (فهذا).

(٤) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

بالجنس، فإنه من أهل الكتاب. و[الذين][1] يحتاجون إلى معرفة المُعَيَّن نوعان:

نوع: عرفوا أنه يُبعث نبيٌّ، وقد [يعرفون][2]بعض نعوته، فيحتاجون أن يعرفوا عَيْنَه، وهرقلُ وأمثالُه من هذا النوع، و[من كان][3]يعلم جنس الرسل، ولا يدري هل يُبعث نبيٌّ أم لا؟ يحتاج إلى أن يعلم أن هذا المعيَّن: [هل هو][4]من جنس الأنبياء الصادقين ؟ أو من جنس المتنبِّئين الكاذبين ؟

وهذا يُعْرف بما يخصُّه من [آيات][5] صدقه، وباعتبار ما جاء به الأنبياء قبله، فإن أصول ذلك مما لا يمكن اختلاف [الأنبياء][6] فيه، إذ كان كل ما يخبر به النبيُّ، فهو صدق،

---

(١) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٢) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٣) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٤) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٥) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٦) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

والأخبار الصادقة لا تتناقض، ولا [تقبل][1] النسخ، ولكن قد يكون بعضهم أعلم من بعض، وفي كلام بعضهم ما ليس في كلام البعض.

وما أخبر به محمد - صلى الله عليه وسلم - هو أكثرُ وأكملُ ممَّا أخبر به موسى والمسيح صلوات [الله][2] وسلامه عليهم أجمعين.

وقد يظنُّ بعض الغالطين تناقضَ بعض أخبار الأنبياء، كما [يظن][3] بعضُ [الضالين][4] معارضة بعض ما جاؤا به للعقل، وهذا ممتنع، بل لابد أن يكون [المعارض][5] ليس بعقل[6] صحيح، و[7] السمعي لم يثبت عندهم لفظه أو دلالته،

---

(١) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٢) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٣) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٤) في الأصل: (الغالطين).

(٥) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٦) في الأصل: (بمعقول).

(٧) في الأصل: (أو).

ولهذا كان دين الأنبياء [واحداً][1] كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[2] الآيتين، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾[3]الآية، وقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾[4]الآية.

وفي الصحيحين مرفوعًا: " **إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ**"[5]. وهذا مبسوطٌ في موضع آخر من هذا النقل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) شق في المخطوط، وما أثبته من الأصل.

(٢) سورة المؤمنون: ٥١ – ٥٢.

(٣) سورة الشورى: ١٣.

(٤) سورة الروم: ٣٠.

(٥) رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بمعناه، ولفظه عند البخاري: « **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ** ».

فهرس الموضوعات

تم
بحمد الله